موقف الحداثيين من المعجزات محمد شحرور أنموذجا
"دراسة نقدية"

إعداد

د. دولة بنت محمد بن مانع العسيري

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

ملخص البحث

يقف الحداثيون من معجزات الأنبياء عموما ومعجزات نبينا محمد ﷺ خصوصا موقف الإنكار، وكان المهندس شحرور ممن تبنوا هذا الموقف الانكاري ضمن مشروعه الحداثي الذي حظي بدعم مؤسساتي وهالة إعلامية أسهمت في ترويج أفكاره التي وجدت قبولا لدى اللادينين وشريحة من الشباب المغررين بشعارات البحث العلمي والموضوعية والتجديد ومسايرة تطورات العصر.

وقد تناولت في هذه الدراسة بيان حقيقة موقف شحرور من المعجزات والكشف عن أصوله ومصادره ومنهجيته التي سلكها في إنكار المعجزات، واستخدمت في دراستي المنهج الاستقرائي الاستنباطي من خلال جمع مصطلحاته المتعلقة بالمعجزات بأنواعها، وتتبع معتقداته الخاصة بمعجزة القران الكريم والمعجزات الحسية مع نقد وتقييم منهجه النقدي للمعجزات.

وتوصلت هذه الدراسة لعدة نتائج أهمها: أن موقفه النقدي للمعجزات ليس وليد البحث العلمي بقدر ما هو اجترار لآراء الفلسفة المادية ونسخة محدثة للطرح الاستشراقي الذي استهدف الإسلام وأصوله ومصادره تحت شعار القراءة المعاصرة والتجديد والروح النقدية. وكذلك أن مشروعه التجديدي يتضمن إشكالات جوهرية علمية ومنهجية عرضت مشروعه للنقد الحداثي قبل الإسلامي.

❁❁❁

Abstract

The modernists adopt denial position towards the miracles of the prophets in general and the miracles of our Prophet Muhammad (PBUH) in particular. The engineer/ Shahrour was among those adamants who adopted this denial position within his modernist approach, which rallied the institutional support and a media aura which contributed to the promotion of his ideas which were met with approval among the religious and a segment of young people who were deceived by the slogans of scientific research, objectivity, and revamping as well as keeping abreast of the developments of the times.

No less important, this study investigated the how far truthfully Shahrur scrutinized the miracles and unveiling his origins, sources and methodology he adopted in denying miracles. In my study, I employed the inductive and deductive approach by collecting his terminology which are related to miracles of all kinds, and I traced his beliefs about the miracle of the Holy Qur'an and sensory miracles along with criticizing and evaluating his critical approach to miracles.

In conclusion, this study reached several definite conclusions, the foremost of which that his critical position on miracles is not the result of scientific research as much as it is a firmly held belief of the views of materialistic philosophy and an updated version of the orientalist proposal which maligned Islam and its origins and sources under the slogan of contemporary reading, renewal and critical spirit. Also, his modernist revamping approach encompassed intrinsic scientific and methodological problematic matters and I exhibited his approach to the modernist criticism before the Islam criticism

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الأديان السماوية الإيمان بالنبوات والتي تمثل الصلة الوحيدة بين الله ﷻ والناس في معرفة الأديان وما تتضمنه من تشريعات ومعتقدات، من خلال الوحي الإلهي الذي يعد النتاج الأساسي للنبوة وجوهر الوساطة بين الله وبين أنبيائه، وقد قررها القرآن الكريم في مواضع عدة وصريحة كقوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾[الشورى: ٥١] ونحوها من الآيات المتضمنة تحديد هذه العلاقة باعتبار أن الله ﷻ هو مصدر الوحي، وأن دور الأنبياء هو التلقي والبلاغ.

وقد استوعب هذه العلاقة عموم المسلمين وأدركوا تعالي الوحي عن الزمان والمكان وامتلاكه خصائص إلهية اكتسبها من مصدره ومنزله وهو الله ﷻ، كما أدركوا أن النبوة ليست منحصرة في الكتاب المنزل وإنما بناء مكون من تشريعات ومعجزات كونية وحسية وأحوال متنوعة يستحيل اجتماعها في غير نبي مؤيد من الله ﷻ والمعروفة بدلائل النبوة التي تثبت نبوة الأنبياء وصدقهم فيما دعوا إليه. وهي دلائل مشهورة ومتواترة ويتعذر التشكيك في صحتها بأدلة صحيحة أو مقبولة.

هذه الركيزة الأساسية للأديان السماوية تتناقض تماما مع العقل الحداثي الذي يرتكز على النزعة المادية ويغلب الجانب الفيزيقي الحسي ويرفض كل ما سوى المادة ويرسخ لمفهوم تاريخية الأديان وتأثرها بالأحوال الحياتية والاجتماعية والثقافية في محاولة لهدمها والقضاء عليها.

ولما كان من الصعب على الفكر الحداثي العربي التصريح بمحاربة الدين في البيئة الإسلامية أو الإعلان عن إنكار المسلمات والثوابت القطعية التي تعارف عليها المسلمون منذ أربعة عشر قرناً فقد تحتم عليهم اللجوء إلى منهجية تأويلية باطنية تهدر قدسية الألفاظ وتعوم

المدلولات الشرعية، وتكسبها مفاهيم ماركسية مادية تحت مسمى القراءة وتتدثر بشعارات من قبيل العلمية والتجديد والمعاصرة.

وقد انطلقت المشاريع الحداثية في هدم مفاهيم النبوة وما ارتبط بها من دلائل ومعجزات من خلال اختزال النبوة والوحي في القرآن الكريم واستبعاد كل المعاني المنزلة من الله على لسان نبيه ﷺ مهما صحت رواياتها، ورد كل ما ورد فيها مما يثبت صدق النبوات لعدم انسجامها مع العقل الحداثي الذي يعتبرها نوعاً من الخرافات والأساطير التي ترتبط عادة بالشعوب البدائية والتي تتناسب مع الأرضية المعرفية للفترة الزمنية التي عاشوا فيها.

هذا الاستبعاد الحداثي للوحي الثاني (السنة النبوية) كان خطوة مهمة للتفرد الحداثي بالقرآن الكريم وتكرار ممارسات حركة النقد الغربي على الكتاب المقدس آملين الإطاحة بقدسية القرآن الكريم وتجريده من خصائصه الإلهية كالحفظ والإعجاز والإطلاق ونحوها.

وقد تعددت المشاريع الحداثية في العالم العربي وتنوعت ظاهريا في بعض الأساليب أو التفاصيل لكنها تنتهي إلى نفس النتائج والأهداف والتي لازالت تجتر فيها الآراء الاستشراقية بحذافيرها.

ويعد مشروع المهندس محمد شحرور أحد هذه المشاريع التي التزمت بالسياق العام للفكر الحداثي وإن كان أضاف إليها بعض التفاصيل التي لم يوفق فيها وعرضت مشروعه للنقد الحداثي قبل الإسلامي.

ولم يكن النقد الحداثي هو المشكلة المفصلية الوحيدة في مشروعه بل صاحبه هشاشة علمية وعجز معرفي وتناقضات منهجية يلحظها أي قارئ، ورغم هذا فقد حظي شحرور بشهرة واسعة خاصة في القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي، وتبنت مؤسسات ودوائر معينة طباعة كتبه ونشرها.

وقد جاء هذا البحث للإسهام في كشف هذا التهافت الحداثي في جانب المعجزات التي يؤيد الله بها أنبيائه عموما ومحمد ﷺ خصوصاً.

وقد تناول شحرور معجزة القرآن من خلال كتابه (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة) وكذلك المعجزات الحسية من خلال كتاب (السنة الرسولية والسنة النبوية) والتي قدم لها مفاهيم جديدة شكلتها الفلسفة المادية التي تعزلها عن أي مصدر غيبي أو خصوصية لبشر أو قوة غيبية خارجة عن نواميس الكون وقوانينه.

ومن هنا كانت فكرة هذا الموضوع بعنوان (موقف الحداثيين من المعجزات، محمد شحرور أنموذجاً) وهي دراسة تحاول تسليط الضوء على موقف الحداثيين متمثلين في محمد شحرور من المعجزات بأنواعها المختلفة، وذلك من خلال منهج علمي يتضح من خلال المحاور الآتية:

أولاً: مشكلة البحث:

حظيت قراءة محمد شحرور المعاصرة بدعم مؤسساتي وأحيطت بهالة إعلامية أسهمت في ترويج أفكاره التي وجدت قبولاً لدى اللادينيين وشريحة من الشباب المغررين بشعارات البحث العلمي والموضوعية والتجديد ومسايرة تطورات العصر الحديث، ومن الموضوعات التي ارتكز عليها في هذه القراءة المعاصرة معجزات الأنبياء، فكان لابد من بيان حقيقة موقفه من المعجزات مناقشة وتحليلا مع توضيح منهجيته واستمداداته وأصوله ومصادره والكشف عن حقيقة موقفه الأيديولوجي من الإسلام بصفة عامة والمعجزات بصفة خاصة.

من هنا فقد سعى هذا البحث للإجابة عن تساؤل رئيس، ما موقف الحداثيين متمثلين في محمد شحرور من المعجزات، وكيف يمكن الرد عليه؟

وقد تفرع من هذا التساؤل عدة تساؤلات على النحو الآتي:

١. من محمد شحرور، وما منهجه الحداثي؟
٢. ما موقفه من الوحيين (القرآن والسنة) ؟
٣. ماموقف شحرور من المعجزات المعنوية (معجزة القرآن الكريم) ؟
٤. ما موقف شحرور من المعجزات الحسية للأنبياء عموماً ولمحمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً؟

٥. كيف نقيم منهجه النقدي للمعجزات؟

أهمية الموضوع ومسوغات اختياره:

تأتي أهمية هذا الموضوع في الآتي:

١. أن أفكار المهندس شحرور رغم تهافتها لاقت رواجاً وانتشاراً واسعاً نتيجة الدعم المؤسساتي لأفكاره ما بين دور نشر تتولى طباعة مؤلفاته وإتاحتها الكترونياً مجاناً، وما بين قنوات معينة تستضيفه كمجدد للدين، إضافة إلى مواقع التواصل الاجتماعي التي لازالت تطرح أفكاره حتى بعد وفاته[1]، وكان موضوع المعجزات من الموضوعات التي تكرر طرحها في هذه القنوات كلها.

٢. أن قراءة محمد شحرور من القراءات التي تبنت مفاهيم مخالفة لثوابت ومسلمات الدين الإسلامي، ومن هذه الثوابت النبوات وما يتبعها من المعجزات المعنوية والحسية.

٣. أن هذه القراءة تتقمص دور النقد الذاتي الإسلامي وتقدم نفسها كإحدى تطبيقات الاجتهاد والتجديد في الدين لمنحها الشرعية والمصداقية عند عوام المسلمين.

٤. أن الطرح الفكري لشحرور يعاني من خلل فكري ومنهجي، وآراؤه لا ترقى إلى مستوى النظرية فضلاً عن أن تصبح قراءة تجديدية، فكان لابد من كشف هذا الخلل والقصور من خلال بحث موقفه من المعجزات.

أهداف الدراسة:

١. إبراز المذهب الحداثي في فكر محمد شحرور وبيان الآثار الناجمة عن ذلك.

٢. بيان موقف محمد شحرور من الكتاب والسنة، ومن ثم بيان آثار ذلك في جانب المعجزات.

٣. بيان موقف شحرور من المعجزات المعنوية (معجزة القرآن الكريم).

٤. إيضاح موقف شحرور تجاه المعجزات الحسية الواردة في القرآن الكريم، وبيان منهجيته في ذلك.

---

(١) ينظر على سبيل المثال حسابه على تويتر الذي لم يغلق حتى يومنا هذا رغم وفاته منذ سنوات.

٥. بيان موقف شحرور تجاه المعجزات الحسية الواردة في السنة النبوية وبيان منهجيته في ذلك.

٦. تقييم ونقد موقفه من المعجزات.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على الحد الموضوعي من خلال استقراء الفكر الحداثي متمثلا في أنموذج شحرور، وبيان حقيقته واستمداداته وتطبيقاته في باب المعجزات.

الدراسات السابقة:

رغم كثرة الكتابات والدراسات التي كشفت عن الفكر الحداثي لدى شحرور إلا أن هذه الكتابات اهتمت بالطرح الفقهي لدى شحرور والذي اتسم بالشذوذ والغرابة ومخالفة إجماع المسلمين. ولم أجد في حدود اطلاعي دراسة علمية تكشف عن حقيقة فكر المهندس محمد شحرور في رفضه لثبات العقائد والتسليم بها والدعوة إلى إخضاعها للمتغيرات المتعددة التي تنفي وجودها كحقيقة مسلمة، ومن ضمن هذه العقائد إعجاز القرآن والمعجزات الحسية للأنبياء عموماً ومحمد ﷺ خصوصاً.

ومن الدراسات التي وقفت عليها ويمكن أن يكون لها صلة بالموضوع:

- موقف الحداثيين العرب من القرآن الكريم، زكي مصطفى محمد البشايرة، دراسة لاستكمال متطلبات الدكتوراة، جامعة اليرموك، إربد- ٢٠٠٨م.

وهي رسالة مهمة في تخصص التفسير وعلوم القرآن، ولذا فقد ركزت على موقف الحداثيين من ثبوت القرآن وحفظه وأنواع القراءات الحداثية للنص القرآني.

أما إعجاز القرآن الذي هو مشترك بينه وبين هذا البحث فقد بحثه من خلال أنموذج محمد عابد الجابري.

- الاتجاه الحداثي وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد ﷺ دراسة تحليلية نقدية د/ سمر عبد الفتاح، مجلة كلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات بكفر الشيخ، العدد الثاني، المجلد السادس، لعام ٢٠١٨م، وهو بحث جيد تمكنت الباحثة من خلاله من بيان

الموقف المجمل للحداثيين من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم الذي يتبنى إنكار المعجزات ونفيها، وقد تناولته من خلال تحديد مفاهيم الحداثة والمعجزات وتصنيف الحداثيين في إنكار المعجزات وأسباب هذا الإنكار من وجهة نظر الحداثيين.

أما موضوع هذا البحث فهو مختص ببيان الموقف الحداثي من جميع المعجزات المعنوية والحسية من خلال أنموذج محمد شحرور وتتبع موقفه من المعجزات على وجه التفصيل، ولم يتطرق هذا البحث إلى الموضوعات التي درستها الباحثة.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي من خلال جمع مصطلحات شحرور المتعلقة بالمعجزات بأنواعها، وكذلك تتبع معتقداته الخاصة بمعجزة القرآن الكريم والمعجزات الحسية مع تقييم ونقد منهجيته في التعامل مع النصوص الشرعية المؤسسة للإيمان بالمعجزات.

أما الإجراءات التي اتبعتها الباحثة في تطبيق منهجها فتتمثل بما يأتي:

- تأصيل المادة العلمية من خلال كتب أنموذج محمد شحرور (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة) و (السنة الرسولية والسنة النبوية) وكتاب (دليل مصطلحات شحرور) بالإضافة إلى مقابلاته الإعلامية ومقالاته وكتاباته على مواقع التواصل الاجتماعي.
- الترجمة لكل الشخصيات التي ذكرت في البحث - باستثناء الأنبياء والمعاصرين- وذلك عند ورود العلم لأول مرة.
- التعريف بالمصطلحات الفلسفية الواردة في البحث مع الاستعانة في ذلك بالموسوعات الفلسفية.

خطة البحث:

أما عن خطة هذا البحث، فقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

التمهيد: في مقدمات أولية مهمة:

المطلب الأول: التعريف بالحداثة.

المطلب الثاني: التعريف بمحمد شحرور ومنهجه الحداثي.

المبحث الأول: موقف محمد شحرور من الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الأول: موقفه من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موقفه من السنة النبوية.

المبحث الثاني: موقف محمد شحرور من المعجزات المعنوية (معجزة القرآن الكريم)

المطلب الأول: مفهوم التحدي بالقرآن.

المطلب الثاني: مفهوم خلود معجزة القرآن وسببه عند شحرور.

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز القرآني عند شحرور.

المطلب الرابع: آيات التحدي.

المبحث الثالث: موقف محمد شحرور من المعجزات الحسية:

المطلب الأول: نفيه للمعجزات الحسية.

المطلب الثاني: استدلاله بالقرآن على نفي المعجزات الحسية.

المطلب الثالث: مبررات شحرور في نفي المعجزات الحسية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: موقفه من النصوص الشرعية الواردة في المعجزات الحسية:

أولاً: المعجزات الحسية الواردة في القرآن الكريم.

ثانياً: المعجزات الحسية الواردة في السنة النبوية.

المطلب الخامس: موقفه من المؤلفات الواردة في المعجزات الحسية.

المبحث الرابع: تقييم ونقد موقفه النقدي للمعجزات.

المطلب الأول: المغالطات العلمية.

المطلب الثاني: الأخطاء المنهجية.

المطلب الثالث: الانتقائية النفعية.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

❁❁❁

تمهيد

المطلب الأول

التعريف بالحداثة

مفهوم الحداثة لغة واصطلاحا:

الحداثة من المصطلحات القلقة في الفكر المعاصر، ولذلك اختلفت فيها أنظار الدارسين من المعاصرين، ولعله من المناسب تعريفها في اللغة والاصطلاح، ثم مفهومها الذي تجاوز جذرها اللغوي وند عنه في تعامل الحداثة مع اللغة.

الحداثة لغة: بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية فإن كلمة الحداثة والحداثيين ترجع إلى الفعل الماضي حدث "والحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن، يقال: حدث أمر بعد أن لم يكن. والرجل الحدث: الطري السن. والحديث من هذا لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء"(١).

وعلى هذا فإن الشيء الحديث يقصد به الذي وجد بعد أن لم يكن موجوداً.

ويقابل مصطلح الحداثة في اللغة الإنجليزية كلمة (MODERNITY) الذي يعني التجديد، وكلمة (modernism) وتعني التحديث إلا أنهم أضافوا أنها ترتبط بحركة الفكر الكاثوليكي لتأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة في القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وكذلك تعتبر نزعة لاهوتية تحررية – البروتستنتية- وأضافوا أيضا أنها نزعة في الفن الحديث تهدف إلى قطع الصلة بالماضي(٢).

الحداثة اصطلاحاً:أما الحداثة اصطلاحاً فهي أحد التيارات الوافدة على عالمنا الإسلامي متأثرة ببعض الفلسفات وتعرف بأنها (تيار فكري ذو مفاهيم فلسفية، ارتبط أساسا بالحضارة الغربية وبسياقاتها التاريخية، ومنها استمد أصوله وجذوره، ثم انتقل إلى العالم العربي)(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م ٢/ ٢٨.

(٢) الحداثة وما بعد الحداثة، كمال أبو ديب، مجلة فصول، العدد الرابع، المجلد الرابع، سنة ١٩٨٤م، ص١٣.

(٣) التفكير الديني لدى الحداثيين العرب، دراسة نقدية، محمد خير حسن محمد العمري، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، عمادة البحث العلمي، ع٣، ٢٠١٤م، ص٤٢١.

وعلى هذا فإن الحداثة مصطلح يضم عدة اتجاهات، كلها متفقة على رفض الماضي: تراثاً وقيماً ومبادئ، لتبني مرجعية جديدة ترتكز على العقل، وتقدس الإنسان، وتتمحور حول الذاتية الفردية والقيم النفعية[1].

ومن هذا التعريف يمكن أن نعرف الحداثيين العرب بأنهم: مجموعة الكتّاب العرب الذين يعتنقون فلسفات غربية ويتبنون مناهج فكرية تتنكر للدين وتسعى لتغيير أصول الدين وأحكامه بمرجعيات غربية.

❁❁❁

المطلب الثاني

التعريف بمحمد شحرور ومنهجه الحداثي

هو محمد بن ديب شحرور من مواليد مدينة دمشق سنة (١٩٣٨م)، درس المراحل الأولى من حياته التعليمية في دمشق ونال منها الثانوية العامة عام (١٩٥٧م).

سافر إلى الاتحاد السوفياتي ببعثة دراسية لدراسة الهندسة المدنية في موسكو عام (١٩٥٩م)، وتخرج بدرجة دبلوم في الهندسة المدنية عام (١٩٦٤م)، ويبدو أن هذه الفترة قد شكلت فكره بدرجة كبيرة حيث عاد مشبعا بالفكر الماركسي محاولاً التبشير به على نصوص القرآن.

عين معيدا في كلية الهندسة المدنية، جامعة دمشق عام (١٩٦٥م) حتى عام (١٩٦٨م). ثم أوفد إلى جامعة دبلن بإيرلندا عام (١٩٦٨م) للحصول على شهادتي الماجستير عام (١٩٦٩م)، والدكتوراه عام (١٩٧٢م) في الهندسة المدنية، اختصاص ميكانيك تربة وأساسات، وهي الفترة التي تأثر فيها بالمستشرقين وتشرب أفكارهم.

عين مدرسا في كلية الهندسة المدنية، جامعة دمشق عام (١٩٧٢م) لمادة ميكانيك التربة ثم أستاذا مساعدا. وافتتح مكتباً هندسيا استشاريا لممارسة المهنة كاستشاري منذ عام (١٩٧٣م).

(١) التفكير الديني لدى الحداثيين العرب، دراسة نقدية، محمد خير حسن محمد العمري ص٤٢١.

اشتهر بمشروعه الحداثي القائم على نقد النصوص الشرعية وتقديم قراءة معاصرة للنص الشرعي بناء على المنهجيات الغربية المستمدة من الفلسفة الغربية.

وكانت البدايات في القراءة الجديدة للقرآن في سنة (١٩٧٠م) عندما كان في إيرلندا لدراسة الهندسة واستمر هذا الاهتمام حتى عام (١٩٩٠م) حين صدر أول كتاب له (الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة) قدم فيه نظريته المادية في تفسير القرآن، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة في مختلف الأوساط الثقافية وردود أفعال مختلفة ما بين وصفه بالمفكر وما بين متهم له بالعمالة، ثم توالت كتبه على نفس المنوال حيث صدر كتابه (الدولة والمجتمع) سنة (١٩٩٤م) و(نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي) و(السنة النبوية رؤية جديدة) سنة (٢٠١٢م) وغيرها من المؤلفات التي مثلت شذوذا فكريا في عصرنا الحاضر.

وبسبب هذه الكتابات والآراء الشاذة فقد حظي بشعبية كبيرة بين العلمانيين والعصرانيين واستضيف في عدد من العواصم العربية لإلقاء المحاضرات وعقد الندوات، وكذلك في الفضائيات العربية لتقديم برامج تلفزيونية.كما حصل على تزكية خاصة من روبرت بللترو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية السابق[١]، وحظي بدعم واسع من مؤسسات إعلامية وبحثية يسارية[٢]، ومات سنة (٢٠١٩)م[٣].

وله مؤلفات كثيرة كلها تدور في فلك مشروعه الحداثي الذي بدأه دون أن يتعلم أبجديات العلم الشرعي، وهذه الكتب حسب تسلسلها التاريخي كالآتي:

١. الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، مطبعة الأهالي، دمشق، (١٩٩٠م).
٢. الدولة والمجتمع، مطبعة الأهالي دمشق، ط٤، (١٩٩٤م).
٣. الإسلام والإيمان منظومة القيم، مطبعة الأهالي، دمشق، (١٩٩٦م).
٤. نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط١، (٢٠٠٠م).

---

(١) www.qudamaa.com .

(٢) ينظر: موقع مؤمنون بلا حدود ومطبوعات دار الساقي

(٣) تنظر سيرته الذاتية في www.shahrour.com، والإلحاد الناعم قراءة في تيار التنوير العربي، عبد الصمد الاشبيلي www.tipyan.com.

٥. تجفيف منابع الإرهاب، مطبعة الأهالي، دمشق، ط١، (٢٠٠٨م).

ومنذ (٢٠١٠م) تولت دار الساقي إعادة طباعة كتبه ونشرها وتحميلها على المواقع الالكترونية مجاناً، وأصدرت له أيضاً:

٦. القصص القرآني قراءة معاصرة، (٢٠١٠م).

٧. السنة الرسولية والسنة النبوية، (٢٠١٢م).

٨. الدين والسلطة قراءة معاصرة للحاكمية، (٢٠١٤م).

٩. أم الكتاب وتفصيلها قراءة معاصرة للحاكمية الإنسانية، (٢٠١٥م).

١٠. الإسلام والإنسان من نتائج القراءة المعاصرة، (٢٠١٦م).

١١. دليل القراءة المعاصرة للتنزيل، (٢٠١٦م).

والقارئ لكتبه يلحظ تكرار موضوعاتها ونصوصها حتى وصف بعضهم كتبه بـ (السمنة المفرطة)[1]، وهذه الموضوعات كلها تدور حول مشروعه النقدي للإسلام وتفريغه من محتواه باستخدام المنهج المادي وتطبيقاته المختلفة كما سنلحظ في المبحث اللاحق.

أما مذهبه الحداثي فإنه يتبنى كسائر منظري الحداثة العربية منهجية معرفية واحدة تقوم على اعتناق الأيدلوجية الماركسية واعتبار الفكر الغربي هو النموذج الأمثل للمحاكاة.وينحصر الاختلاف بينهم في المنهجية الإجرائية التي يختارها كل واحد منهم في توظيف الأفكار الحداثية التي يعتقدون أنه يمكن من خلالها تبيئة هذه المناهج الفلسفية في الفكر العربي الإسلامي من خلال تكرار المشاريع النقدية التي مورست على الكتب المقدسة وانتهت إلى التحرر من سلطة. النص ونزع القداسة عنه والتأسيس للقطيعة المعرفية بين الكتب المقدسة والقراءات السابقة لها.

وقد تبنى شحرور تقليد هذه المناهج ومحاولة تطبيقها على القرآن الكريم والسنة النبوية في تبعية مطلقة أدت إلى رصد مآخذ جوهرية على مشروعه الحداثي حتى من قبل منظري الحداثة.

(١) بؤس التلفيق (نقد الأسس التي قام عليها طرح محمد شحرور) يوسف سمرين، مركز دلائل، الرياض، ط٢، ١٤٣٩هـ، ص١٥.

ورغم ذلك فقد وجد مشروعه صدى واسعاً في الأوساط الشعبية وتفاعلت معه كثير من القنوات الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي.ولتوضيح ملامح مذهبه ومشروعه الحداثي، يمكن الإشارة إلى ثلاثة مرتكزات:

١. المنطلقات.
٢. الخلفية الأيدلوجية.
٣. المنهجية والأدوات.

أولاً: المنطلقات: ينطلق شحرور في بناء مشروعه (التجديدي) من هدم المنهجية الإسلامية في بناء المعرفة الإسلامية واستبعاد أدواتها وآلياتها التي وضعها علماء السلف، واستبدالها بالفلسفة التي هي في نظره أم العلوم قاطبة[١]، معتبراً الفكر الغربي هو النموذج الأمثل للخروج من المأزق المنهجي للأمة الإسلامية[٢]، وعليه تصبح الفلسفة الغربية هي المسلمات والثوابت التي تحاكم إليها أصول الإسلام ومصادره. وأدواتها وآلياتها هي الطريق الأمثل للوصول إلى القراءة المعاصرة. ولذا فقد قام مشروعه (التجديدي) على تقديم قراءة معاصرة تنطلق من فلسفات غربية مع استعارة آلياتها النقدية من بيئتها الأصلية وفرضها على البيئة الإسلامية.ولإيجاد أرضية لهذه القراءة المستعارة كان لابد من نسف المنهجية الإسلامية وذلك برفض القراءات السابقة وأدواتها النقدية واستبدالها بنظريات التأويل في الفكر الغربي (الهرمنيوطيقا)[٣] بمدارسها المتنوعة وامتداداتها المختلفة والتي ترفض ثبات المعنى وتجعل النص مفتوحا على احتمالات من المعاني لا نهائية بحسب التغيرات الزمكانية.

(١) الكتاب والقرآن، محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ص٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣١.

(٣) الهرمنيوطيقا: هي تعبير إنجليزي للكلمة اليونانية "هرمس" التي تعني المفسر أو الشارح، وقد تعددت مضامينه بحسب أطواره التاريخية التي بدأت في العصر اليوناني حتى بلغت درجة الغلو في القرن الثامن عشر الميلادي حيث حكمت بموت الإله في النصوص المقدسة لليهود والنصارى، وبموت المؤلف في النصوص الأدبية، وإحلال القارئ وفهمه الذاتي محل الكاتب. ويمكن تعريفها باختصار بأنها (نظرية التأويل وممارسته)، وأبرز مرتكزاتها الفهم المفتوح بدلاً من المعنى والقراءة الحرة التي لا تتقيد بالمعاني الاصطلاحية والتواضعية، وتتجاهل السياق العام للنص لصالح فهم القارئ. ينظر: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، فاطمة الطبال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط، ١٤١٣هـ-١٣٩٣م

ثانياً: الخلفية الإيدلوجية (الماركسية): لا يجد أي باحث صعوبة في تتبع الأيدلوجية الماركسية في فكر محمد شحرور سواء في مؤلفاته أو برامجه فهي تنضح بالفلسفة الماركسية ومبادئها تأصيلاً وتنزيلاً، حيث تلقف الفلسفة الماركسية على أنها مسلمات لا تقبل الشك وأخذ ينزل النصوص الشرعية على هذه الفلسفة بأسلوب عبثي.

فهو ينطلق من قانون الديالكتيك المادي الذي هو لب الفلسفة الماركسية ليفسر به الآيات القرآنية والنصوص الشرعية ويقدمها على أنها قراءة جديدة لمصادر الإسلام وأصوله. ولا تخلو آية أو مصطلح قرآني من المضامين الماركسية زاعما أنه استنبط هذه المعاني من القرآن بعد أن اكتشف أنه (لا يوجد تناقض بين ما جاء في القرآن الكريم وبين الفلسفة التي هي أم العلوم)[1] مدعيا أن سبب المأزق المعرفي والمنهجي في القراءات السابقة هو استبعادهم الفلسفة.

ولذا فقد حرص على تأويل القرآن بما يتوافق مع الفلسفات المعاصرة، وارتكز تأويله في أحد شقيه على (استنتاج واستقراء النظريات الفلسفية والعلمية حسب الأرضية المعرفية للقرن العشرين)[2]، بل وجعل ذلك هو الإعجاز القرآني كما سيأتي في مبحث المعجزات.

ثالثاً: المنهجية والأدوات: لقد أعلن شحرور عن منهجيته وأدواته المستخدمة في مشروعه النقدي وحصرها في اللسانيات والتحليل الرياضي،وسأكتفي بالإشارة الى الألسنيات الحديثة لاعتماده عليها في نفي المعجزات، أما التحليل الرياضي فقد اعتمد عليه في مسائل فقهية أشهرها (نظرية الحدود) وكذلك (الإرث) التي كانت مخرجاتها مزيجاً من الشذوذات الفكرية والفقهية[3].

=ص٥٦، وقراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص٧.

(١) الكتاب والقرآن، ص٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣١.

(٣) تنظر: هذه المغالطات والغرائب في كتابه (نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي فقه المرأة)، ونقد هذه المخرجات في بؤس التلفيق ليوسف سمرين، وكتاب قراءة معاصرة في القراءة المعاصرة للدكتور صهيب السقار، دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠٢٠م.

أما الألسنيات الحديثة فقد نشأت في الفكر الغربي في القرن العشرين والتي أصبحت منهلاً خصباً لنظرية التأويل عند الحداثيين العرب، وهي تُعنى بمفهوم العلاقة بين الدال والمدلول، ومشروطة بالنظام اللغوي الذي تتميز به كل مرحلة تاريخية لتعكس الواقع الاجتماعي والثقافي المتغير، وبما أن اللغة نتاج اجتماعي تتغير حسب القوانين الاجتماعية فالمدلول متحرك على هذا الاعتبار تبعاً لتحرك اللغة بالمفهوم الاجتماعي(١).

وبتطبيق الألسنيات على النص القرآني تصبح دلالاته مقيدة بالنظام اللغوي الذي صاغته القوى الاجتماعية في القرن الأول الهجري زمن مستقبل النص (زمن الصحابة رضوان الله عليهم) وفي حالة تغير النظام اللغوي الذي ستصوغة قوى اجتماعية مغايرة في عصور لاحقة فإن المدلولات تختلف وتتغير بحسب النظام اللغوي وعصره وبيئته، وبناء على هذا لا يصح في اللسانيات الاستدلال بفهم الصحابة، لأن فهمهم انطلق من نظام لغوي مغاير أصبح في عداد الفهم التاريخي للنص، ولذا يرفض شحرور فهم الصحابة -رضوان الله عليهم-رفضاً قاطعاً(٢).

وقد أعلن عن اعتماده هذه المنهجية اللسانية في مقدمة كتابه الكتاب والقرآن حيث قال: (الاطلاع على آخر ما توصلت إليه علوم الألسنيات الحديثة من نتائج، وعلى رأسها أن كل الألسن الإنسانية لا تحتوي على خاصية الترادف، بل العكس هو الصحيح)(٣).

وقد استعار هذه المنهجية الغربية وتبناها في تأويل مصطلحات القرآن الكريم، وفي سبيل محاولته لتبيئتها استند إلى معجم مقاييس اللغة لابن فارس تلميذ ثعلب الذي ينفي وجود الترادف في اللغة(٤) ورغم أن جمهور اللغويين على خلاف ذلك إلا أن شحرور اعتمد معجم ابن فارس مرجعاً يستند إليه في قراءته الجديدة للنص القرآني مصراً على عدم وجود الترادف في القرآن، فالقرآن عند شحرور غير الكتاب، والكتاب غير الذكر، والنبوة غير الرسالة، والآيات

(١) منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، عبد السلام المسدي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد (٨٣)، سنة ٢٠٠٣، ص٢٣.

(٢) السنة الرسولية، محمد شحرور، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص٦٩.

(٣) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص٤٤.

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال السيوطي، منشورات دار الكتب المعاصرة، بيروت، ص٤٠٣.

البينات غير المحكم، والآيات المتشابهات غير المتشابه، والكلام غير القول، معتبراً أن محاولة إثبات الترادف عودة إلى اللغة البدائية التي تجاوزها القرآن(١).

ولعله من المفيد أن أختم بما ذكره أحد الباحثين ملخصاً الجذور الفكرية لقراءة شحرور ومنهجيته للوصول إلى هذه القراءة حيث قال: (قراءة شحرور تمثل منحى ماركسياً صرفاً في التأويل، اجتهد ما وسعه الاجتهاد في صب المعاني القرآنية في قوالب ماركسية جاهزة، ولا يهم ضيق القالب أو اتساعه للمعنى المفرغ، مادامت المقاصد مرسومة سلفا، والإيديولوجيا حاكمة على المنهج، هذا مع تطعيم الماركسية بمقولات ألسنية وبنيوية آفلة، فشلت وذهب ريحها منذ زمن غير قصير، لكن فيها متسلقاً للفصل بين النص وقائله، وإحلال دلالة القارئ محل دلالة المتكلم)(٢).

❁❁❁

(١) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم، ص٢٩، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص٥١-٦٢

(٢) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، ص٣٠٢.

المبحث الأول

موقف محمد شحرور من الوحيين (القرآن الكريم والسنة النبوية)

المطلب الأول: موقفه من القرآن الكريم:

يتبلور مشروع محمد شحرور الحداثي حول القرآن الكريم فيما سماه بالقراءة المعاصرة، وموقفه يتماهى مع بقية المشاريع الحداثية الأخرى في موقفها من القرآن الكريم، فهي لا تصرح برفضها للقرآن لكنها لم تقبله، ولذا تدور هذه المشاريع حول محور إلغاء مراد قائله، مما يعني أن النص لا ينتمي إلى الأعلى كما هو مذهب معظم الحداثيين، أو لم يعد منتمياً إلى الأعلى كما هو عند شحرور.

ولكي يتضح موقفه من القرآن فلا بد من توضيح المنهجية التفكيكية التي مارسها على النص القرآني والتي جاءت على مستويين:

الأول: تسليط الرؤية التاريخية على النص القرآني في نظرية (تاريخية النص) لمحاولة إثبات تاريخية دلالة النص القرآني مما يقتضي نفي أن يكون تنزيلاً من رب العالمين، لأنه إذا كانت دلالة النص القرآني غير مفارقة لقوانين الواقع في استجابة للواقع التاريخي المعين، فإن ذلك لابد أن ينسحب على مصدره فيكون غير (متعال) بل هو جزء من التاريخ المتعين، ولاشك أنه لا يستقيم القول بتاريخية مدلولات القرآن دون تاريخية مصدرها.

أما المستوى الآخر فهو إخضاع النص القرآني للدراسة النقدية التداولية في المجال اللساني، وتطبيق نظريات القراءة التأويلية المعاصرة على نصوص القرآن لإعادة قراءته وتأويله بما يتناسب مع نظريات وفلسفات العصر الحديث من خلال الفهم بدل المعنى، والقراءة بدل التأويل، وتاريخية الفهم ولا نهائية المعنى.

وقد سبقت الإشارة إلى مذهبه اللساني القائم على منع وقوع الترادف في القرآن الكريم والذي حاول من خلاله تجزئة القرآن الكريم وتبعيضه، وخلاصة هذا المنهج التشطيري هو أن القرآن ليس ما بين دفتي المصحف، وإنما جزء من الآيات المتشابهات التي يعتبرها قابلة للتأويل، وتخضع للمعرفة النسبية التي تتغير بتغير الزمان والمكان.

ولارتباط القرآن الكريم بموضوع المعجزات كونه المعجزة الخالدة فمن المهم نقل مذهبه التأويلي في القرآن الكريم وإن كان فيه شيء من التطويل:

يبدأ شحرور في شرح مذهبه اللغوي ببيان الفرق بين الكتاب والقرآن، والذي قدم فيه مفهوماً جديداً للقرآن ينقض فيه المفهوم الذي تعارف عليه المسلمون منذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا الحاضر.

فالكتاب بأل التعريف عند شحرور هو مجموعة المواضيع التي أوحيت إلى محمد ﷺ، ومن الخطأ الفاحش -عند شحرور- أن نظن عندما ترد كلمة كتاب -بدون أل التعريف- في المصحف أنها تعني كل المصحف، لأن الآيات الموجودة بين دفتي المصحف تحتوي عند شحرور على عدة كتب (أي: مواضيع) وكل كتاب من هذه الكتب يحتوي على عدة كتب، ككتاب العبادات يحتوي على كتاب الصلاة وكتاب الصوم وكتاب الحج وغيرها[1].

والكتاب بحسب شحرور من حيث الآيات ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. الآيات المحكمات وهي التي تمثل رسالة النبي ﷺ، وقد أطلق الكتاب عليها مصطلح "أم الكتاب" وهي قابلة للاجتهاد حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية ما عدا العبادات والأخلاق. حيث إن التشريع قابل للتطور وقابل للإلغاء والاستبدال "يمحو الله ما يشاء ويثبت".

٢. الآيات المتشابهات وقد أطلق عليها الكتاب مصطلح "القرآن والسبع المثاني[2] وهي قابلة للتأويل وتخضع للمعرفة النسبية وهي آيات العقيدة.

٣. آيات لا محكمات ولا متشابهات وقد أطلق عليها الكتاب مصطلح" تفصيل الكتاب"[3].

٤. والتفصيل السابق من شحرور يرفض الرأي المشهور في وصف القرآن من أنه كله محكم، وبوصفه أيضاً بأنه متشابه في نفس الوقت، وبوصفه بوصف ثالث بأن بعضه محكم

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، محمد شحرور، ص٥٣، ٥٤.

(٢) السبع المثاني في مفهوم شحرور هي الحروف المقطعة التي تشكل آية كاملة وهي: الم، المص، كهيعص، طه، طسم، يس، حم، انظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، محمد شحرور، ص٩٧.

(٣) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، محمد شحرور، ص٣٧.

وبعضه متشابه[1]، والسبب في هذا الخلط_ على حد تعبيره_ هو عدم الالتفات إلى وظيفة أل التعريف، ففي قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾[هود: ١] فهذا لا يعني كل آيات المصحف، وإنما مجموعة الآيات المحكمات، وعندما قال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾[الزمر: ٢٣] فإنه لا يعني كل المصحف وإنما مجموعة آيات متشابهات، أما عندما يرد لفظ الكتاب معرفاً بأل فذلك يعني المصحف بكامله[2].

أما القرآن فيعرفه شحرور بأنه مجموعة القوانين للوجود ولظواهر الطبيعة والأحداث الإنسانية، وأساسه غير لغوي، ثم جعل لغوياً لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾[يوسف: ٢][3].

وبحسب شحرور فإن محتويات القرآن تنقسم إلى موضوعين أساسيين هما[4]:

١. الجزء الثابت: وهو الموحى من اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾[البروج: ٢١-٢٢]، وهذا الجزء هو القوانين العامة الناظمة للوجود كله ابتداء من خلق الكون وفيه قوانين التطور وتغير الصيرورة حتى الساعة ونفخ الصور والبعث والجنة والنار، وهذا الجزء لا يتغير من أجل أحد، وهذا الجزء العام هو الذي تنطبق عليه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[الكهف:٢٧].

٢. الجزء المتغير: وهو الجزء الذي عبر عنه بأنه مأخوذ من الإمام المبين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾ [يس: ١٢].

---

(١) فصل الإمام ابن تيمية في هذه الأوصاف بما لا يحتمل المقال ذكره هنا، الرسالة التدمرية، ابن تيمية، تحقيق د. محمد السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ، ١/ ٨٩ وما بعدها.

(٢) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، محمد شحرور، ص ٥٣، ٥٤.

(٣) المصدر السابق، ص٦٢.

(٤) المصدر السابق، ص٧٤، ٧٥.

والإمام المبين عند شحرور يحتوي على شقين:

أ- أحداث وقوانين الطبيعة الجزئية مثل تصريف الرياح واختلاف الألوان وهبة الذكور والإناث وهي قابلة للتصريف وغير مكتوبة سلفاً.

ب- أفعال الإنسان الواعية وهي الآيات التي تشكل القصص القرآني.

أما "تفصيل الكتاب" فيرى شحرور أن آيات "تفصيل الآيات" ليست أحكاماً وليست قرآناً وليست السبع المثاني وليست القصص بل هي آيات لها وظيفتان:

أ- شرح محتويات الكتاب لا شرح أحكام الكتاب.

ب- فصل آيات الكتاب بعضها عن بعض فصلاً مادياً، أي أنها مرتبة في المصحف لتفصل بين آيات أم الكتاب وآيات القرآن(١).

وبناءً على مذهبه اللغوي فإنه يختزل القرآن في بعض الآيات المتشابهات والتي-بحسب شحرور- تتصف بثبات ألفاظها دون معانيها التي تتغير بحسب الأرضية المعرفية في كل زمان ومكان.

يقول في مقدمة كتابه الكتاب والقرآن: (لقد تبين لنا أن فرقاً جوهريا بين الكتاب والقرآن، والفرقان والذكر، فالقرآن والسبع المثاني هما الآيات المتشابهات، ويخضعان للتأويل على مر العصور والدهور، لأن التشابه هو ثبات النص وحركة المحتوى، وقد تم إنزال القرآن بشكل متشابه عن قصد، وقد كان النبي ﷺ ممتنعاً عن التأويل عن قصد، أي أن القرآن يؤوّل ولا يفسر، وأن كل تفاسير القرآن تراث يحمل طابع الفهم المرحلي النسبي)(٢)، أما بقية آيات القرآن فقد استبعدها شحرور فمثلاً آيات الإرث عنده ليست من القرآن (فإذا سأل سائل : هل آية الإرث من القرآن ؟ فالجواب: لا، هي ليست من القرآن (النبوة) ولكنها من أم الكتاب

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة. محمد شحرور، ص١٢١.

(٢) الكتاب والقرآن، ص٣٧.

(الرسالة)[1] وآيات أم الكتاب (آيات التشريع والعبادات والأخلاق والمحرمات) وهي قابلة للتطور والإلغاء والاستبدال[2].

مما تقدم يتضح موقف شحرور من القرآن الكريم حيث نقض المفاهيم الأساسية المشكلة له من حيث قدسيته ومصدره الإلهي وحفظه وتعاليه عن حدود الزمان والمكان.

وقد مارس هذا النقض من خلال التجزئة والتقسيم والتبعيض لآيات القرآن ومصطلحاته، وكذلك التأويل المفتوح واللانهائي لمعانيه ومدلولاته حسب ما تمليه الخلفية المعرفية لقارئه، حتى لو تغيرت المفاهيم والتشريعات وانتقلت من الحل إلى الحرمة أو العكس ما دامت تتوافق مع العقل الحداثي.

❁❁❁

المطلب الثاني

موقفه من السنة النبوية

لقد تبنى شحرور موقفاً هدمياً للسنة النبوية بكل صراحة وجرأة، بخلاف منهجه التفكيكي للنص القرآني الذي لم يصرح فيه بتاريخية اللفظ ولم يجرؤ على الاقتراب من ثبوت اللفظ القرآني كسائر الخطابات الحداثية.

أما السنة النبوية فقد كان موقفه فيها حاداً ومتطرفاً حاول فيه نسف كل المفاهيم الشائعة حول ثبوتها وصحتها ودلالتها ومفاهيمها.

وقد انطلق في تفكيك السنة النبوية من تفكيك مفهوم (النبوة) الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسنة كونها مصدراً للتشريع ولاعتبارها وحياً من رب العالمين، فنجده يفرق بين مقام النبوة ومقام الرسالة فيجعل لمحمد ﷺ ثلاث مقامات:

(١) الكتاب والقرآن، ص٣٧-٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨.

أ. **مقام محمد الرجل :** وهو مقام خاص بحياته الشخصية وليس له أي عصمة تكوينية، فهو رجل ككل الرجال وسلوكياته لا علاقة لها بالدين ولا بالوحي، وإنما يخضع للأعراف والتقاليد المتعلقة بمجتمعه(١).

ب. **مقام محمد النبي :** ومقام محمد النبي بحسب شحرور يتمحور حول أمرين:

الأول: النبوة وهي الغيبيات التي وردت في القرآن الكريم (القرآن والسبع المثاني)، ويرى أن النبي ﷺ بلغ هذه النبوة ضمن الأنباء الغيبية الكونية والتاريخية دون أن يفهمها أو يشرحها لأهل زمانه، ولم يفهمها الناس إلا بعد تأويلها بفضل تطور العلم الحديث.

أما المحور الثاني للنبوة فهو مهمة الاجتهاد في السلطة وممارستها والقيادة العسكرية وتنظيم أمور المجتمع والقضاء، وهذه المهمة أتيحت له من مقام النبوة كبقية الأنبياء الذين كانوا ملوكاً، فاجتهاداتهم نابعة من الصلاحيات التي خولها لهم مقام النبوة كقادة سياسيين وعسكريين لا أكثر، وهذه الاجتهادات ليست وحياً بل مبنية على دلائل قد لا تكون صحيحة. وهذا المقام (مقام النبوة) مرحلي عند شحرور انتهى بوفاة النبي ﷺ(٢).

ج. **مقام محمد الرسول** : وهو مقام النطق بالذكر لبيانه للناس،أي بإعلامه لمن حوله وعدم كتمانه، فوظيفته إبلاغ الذكر وليس الشرح(٣).

وبناء على مقامي النبوة والرسالة يقسم شحرور السنة إلى: سنة نبوية وسنة رسولية.

١. **السنة النبوية** : وهي تعليمات خاصة بالنبي ﷺ وهي تعليمات مرحلية جاءت لحقبة معينة، وهي موزعة في القصص المحمدي الواردة في القرآن، وكذلك الأحاديث النبوية المتضمنة لاجتهاداته من مقام النبوة، وهي غير ملزمة لأحد وليس فيها طاعة للنبي (حيث إن الطاعة جاءت للرسالة ولم تأت للنبوة، وليس في الكتاب أي آية تقول (وأطيعوا النبي) بل هناك آيات تقول (وأطيعوا الرسول)(٤).

(١) السنة الرسولية، شحرور، ص١٠١.

(٢) السنة الرسولية، شحرور، ص١٠١- ١٠٦.

(٣) السنة الرسولية، ص١٠٦-١٠٧.

(٤) الكتاب والقرآن، ص٥٥.

٢. **السنة الرسولية** :وتتمثل فيما ثبت عنه من الشعائر والقيم الإنسانية الموجودة في الفرقان [١] وهي مجال الأسوة والطاعة والقدوة بشرط أن تتوافق مع (أم الكتاب) ولا تتناقض مع العقل أو الواقع، وكما تقدم فأم الكتاب عند شحرور لا علاقة لها بالقرآن، وهي أحكام ليست ثابتة بل قابلة للتطور والإلغاء.

وبناءً على هذا التقسيم فقد وضع شحرور مفهوماً جديداً للسنة النبوية مغايراً لمعناها المتعارف عليه حيث قال : (لقد بحثنا في السنة فوجدنا أن تعريف السنة بأنها "كل قول أو فعل أو إقرار أو نهي قام به النبي ﷺ " إنما جاء من قبل الفقهاء وليس من قبل النبي نفسه ، حيث كان النبي ﷺ يصر على تدوين الكتاب وكان في الوقت نفسه يأمر الناس بعدم تدوين أقواله الشخصية، فمن هذا خلصنا إلى مفهوم معاصر للسنة النبوية،حيث كان دور النبي ﷺ هو تحويل المطلق إلى نسبي والحركة ضمن حدود الله، في القرن السابع،في شبه جزيرة العرب)[٢].

وهذا المفهوم الحداثي الذي جعل من أفعال النبي ﷺ وأقواله الاحتمال الأول لتفاعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة[٣] مهد به شحرور لتقييد صلاحية نصوص السنة بمرحلة تاريخية معينة تمنع امتدادها وصلاحيتها لكل زمان ومكان، ولذا فقد رفض اعتبار السنة النبوية وحياً فهي في نظره (صناعة إنسانية لا غير)[٤]، وهي(من نتاج عقول الرجال، وتابعة لأهوائهم وأعرافهم، وحرصهم كل الحرص على التدليل أنها وحي لخدمة مطامعهم الشخصية ومصالحهم السياسية)[٥].

وفي سياق إنكار وحيية السنة يزعم أن الصناعة الحديثية احتلت مرتبة أعظم من مرتبة التنزيل مما جعل المحدثين على حد قوله:(يحولون اجتهادات الرسول التي هي في الأصل

(١) السنة الرسولية، ص٢٠٩.

(٢) الكتاب والقرآن، ص٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص٥٤٩.

(٤) السنة الرسولية ص٢٩.

(٥) المرجع السابق، ص٣٠.

ظرفية...إلى تشريعات أبدية شمولية مطلقة فصارت السنة مصدراً موازياً للتنزيل الحكيم في التشريع بل وناسخاً له في بعض الأحيان أو في معظم الأحيان)[1].

بل يرى أن القول بأن السنة وحي (سمح بالعبث في الدين والتحكم في رقاب الناس باسمه واسم السنة التي حولوها إلى وحي ثانٍ بعد التنزيل الحكيم)[2] ليصل إلى نتيجته المسبقة وهي أن التمسك بالحديث النبوي كوحي حاكم دفع بالأمة إلى هاوية التخلف[3].

بل ذهب إلى أن اعتبارها وحياً أوقع الأمة الإسلامية في عمق المأزق المسيحي، فكما أن الديانة المسيحية مرتبطة بشخصية المسيح فإن (الأمر ذاته حصل عندنا [أي المسلمين] بالنظر إلى أن الأحاديث أصبحت تمثل لدينا السيرة الذاتية للرسول ﷺ، ولها أهمية مضاهية للتنزيل الحكيم _إن لم تكن أكثر منها_ من دون مبالغة. فكما أن هناك عدة أناجيل هناك عدة كتب للحديث. فلماذا نعيب على المسيحيين أن لديهم عدة نسخ للأناجيل ولا نعيب على أنفسنا ذلك في كتب الحديث)[4] منتقداً المفهوم المتضمن وحيية السنة بأنه مفهوم تقليدي وصناعة حديثية متضخمة متوارثة[5].

هذا الرفض لوحيية السنة ترتب عليه رفضها كمصدر للتشريع، ويصرح في أكثر من موضع أنه لا علاقة لها بالتشريعات والأحكام (لأن الحرام شمولي أبدي، وهو حق حصري لله ولا يسمح لأحد غيره بالتحريم مهما علا مقامه، لا رسول ولا نبي ولا صحابي ولا تابعي أو تابعي التابعي ولا فقيه ولا أي كان، لأن التنزيل الحكيم جعل معظم المحرمات قيماً إنسانية

(١) السنة الرسولية، ص٨٧. باختصار.

(٢) السنة الرسولية باختصار، ص٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص٨٧.

(٤) السنة الرسولية باختصار، ص ٢٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٦.

عالمية قبل أن تكون تشريعات)[1]، ولم يفته كسائر الحداثيين التركيز على نقد الإمام الشافعي واتهامه بأن أطروحته عن وجود الوحيين لدواع سياسية وعنصرية[2].

وقد خصص كتابه (السنة الرسولية والسنة النبوية) في نقض ثبوت السنة النبوية ونفي صحتها ودلالتها، بل أفرد مباحث في الكتاب لنفي خصائص النبي محمد ﷺ كالشفاعة والعصمة وإخباره ببعض المغيبات، بأسلوب يتضمن السخرية وانتقاص لنبوته ﷺ، وكذلك اتهام الرواة وعلماء الحديث بالتزوير وترقيع الأسانيد[3].

ولعله من المستحسن هنا إيراد نص لشحرور يلخص فيه موقفه من السنة النبوية فيقول: (هذه القضية الشائكة في منظومتنا التراثية -برؤية معاصرة وخالية من أي صفة للقدسية والأسطرة، بإعادة الأمور إلى نصابها، وتوضيح أن اجتهادات النبي (سنته النبوية) ما هي في الحقيقة إلا اجتهادات وضعية إنسانية مارسها النبي كقائد وفق ظروف معينة لتلبية متطلبات مجتمعه، ولا يمكن الاعتماد عليها مطلقاً كمصدر للتشريع، لأنها اجتهادات متسنهة (متغيرة) وغير صالحة للأزمنة التي بعدها، بما فيها عصرنا والعصور التي تليها)[4].

❁❁❁

(١) السنة الرسولية، ص٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٢، ٥٤، ٥٧، وقد أفرد للشافعي رحمه الله فصلاً كاملاً ذمّ فيه الإمام الشافعي وانتقص من قدره كإمام في قوله بأن السنة وحي وأن الطاعة واجبة للنبي ﷺ في كل ما صدر عنه إجمالاً في حياته وبعد مماته، وشحرور ليس بدعاً في هذا' فلا يخلو مشروع حداثي من الهجوم على الشافعي رحمه الله، ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى البحث النفيس (موقف الاتجاه الحداثي من الإمام الشافعي) للدكتور أحمد قوشتي- مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، العدد السابع، السنة الرابعة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

(٣) السنة الرسولية، ص٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٧٧.

المبحث الثاني

موقف شحرور من المعجزات المعنوية (معجزة القرآن الكريم)

تمهيد:

لا يمكن للعقل الفلسفي المادي أن يقبل ما لا يخضع لقوانين العلوم التجريبية وقواعدها ومنتجاتها، وحيث إن المعجزات من خصائصها الذاتية ومقوماتها الطبيعية أن تكون خارقة لنواميس الكون ومخالفة لقواعد الخلق، ومباينة لما هو المألوف والمعروف عند الناس، فكان لا بد أن يرفضها العقل الحداثي الذي اختلفت منازع أصحابه لكنهم ينتهون إلى نتيجة واحدة وهي الإنكار. لقد سلك شحرور كل مسلك في محاولة زحزحة مفهوم معجزة القرآن وكذلك المعجزات الحسية من كونها حدث حقيقي خارق للعادة تتضمن دلالة على صدق وحقيقة ما أخبر به الأنبياء وإضفاء مفاهيم جديدة على المعجزة تنقض حقيقتها المتعارف عليها وتجعلها تسير في الاتجاه المادي، وحيث إن منهجية شحرور في إنكار إعجاز القرآن تختلف عن منهجيته في إنكار المعجزات الحسية فقد رأت الباحثة إفراد معجزة القرآن ببحث مستقل. وقد تقدم بيان موقف شحرور من القرآن الكريم ومنهجيته في التعامل مع نصوصه والتي استخدم فيها ما يمكن أن نطلق عليه المنهج التشطيري أو التبعيضي للقرآن الكريم، والذي استبعد فيه معظم الآيات والنصوص من مسمى (القرآن الكريم) وأطلق عليها مسميات من قبيل الكتاب وأم الكتاب... الخ.

وقد انفرد شحرور بهذا المنهج التشطيري عن سائر الحداثيين الذين يصرحون بالتشكيك في ثبوت القرآن وفي لفظه وادعاء التشكل التاريخي واخضاعه للمتغيرات، فمنهجه التجزيئي للقرآن أثبت فيه بعض ألفاظ القرآن الكريم ثم فرغها من معانيها الشرعية وحملها بمعان فلسفية، لتصبح الألفاظ الشرعية عند شحرور كساءً إسلامياً للفلسفات المادية.

فالأساليب عند الحداثيين مختلفة لكن النتيجة واحدة وهي إنكار قدسية القرآن الكريم وإطلاقية ألفاظه ومعانيه وأحكامه وتشريعاته وتعاليه عن الزمان والمكان.

وهذا المنهج التشطيري عند شحرور كان لابد أن ينعكس على موقفه من إعجاز القرآن، ولكي يفهم القارئ مفهوم الإعجاز القرآني عند شحرور فسيجد نفسه أمام مصطلحات معروفة لكن بمدلولات غريبة من قبيل (الإنزال) و(التنزيل) و(الآيات) و(الآيات البينات) و(التصديق) و(التسليم) و(التحدي) و(التحذير) و(المعجزة) و(الأسطورة) و(اللفظ الثابت) و(المعنى المتحرك) وعبارات من قبيل(الصياغة القرآنية لموضوع غير قرآني) أوالعكس.

وهذه المصطلحات بمعانيها الجديدة شكلت مفهوم الإعجاز القرآني عند شحرور والتي يتضح بعد دراسة متعمقة لمدلولاتها أنها تتضمن نقض مفهوم الإعجاز القرآني المتعارف عليه لدى عموم المسلمين، وإكسابه مفاهيم جديدة تتناغم مع المادية الماركسية، ولكن بمنهجية تأويلية باطنية تجنبه الصدام الناتج عن التصريح بإنكار الإعجاز القرآني تحت ستار البحث العلمي والمنهجية العلمية.

وقد أفرد للإعجاز القرآني فصلاً كاملاً في كتابه (الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة) وعنونه بـ (إعجاز القرآن وتأويله) والتي تختصر مفهوم الإعجاز القرآني لدى شحرور في التأويل المتضمن تجميد الألفاظ وتحريك المعاني بالتوازي مع المتغيرات إلى مالا نهاية.

أما المرتكزات التي ارتكز عليها شحرور في نفي الإعجاز القرآني فتتمثل في الآتي:

❁❁❁

المطلب الأول

مفهوم التحدي بالقرآن

ينطلق شحرور في نفي الإعجاز القرآني من التفرقة بين آيات التحدي بالقرآن وآيات التحذير من كتابة الكتاب، وذلك بناءً على التفرقة بين القرآن والكتاب، فيقرر أن التحدي بآيات القرآن فقط وليس ببقية آيات الكتاب، وبما أن آيات القرآن عنده هي مجموعة المواضيع التي تحتوي على الموضوعات الكونية والتاريخية والتي يطلق عليها (النبوة) فإن بقية آيات الكتاب (الرسالة والتشريعات) ليست من ضمن القرآن، وبالتالي لن يكون لها علاقة بالإعجاز،

وبهذا جنب نفسه عناء التشكيك في أنواع الإعجاز المتنوعة في جزء كبير من كتاب الله وفي مقدمتها الإعجاز التشريعي.

ويدلل على ذلك بالتفرقة بين آيات التحدي وآيات التحذير، فآيات التحذير عند شحرور مرتبطة بالكتاب كقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[البقرة: ٧٩].

أما آيات التحدي فمرتبطة بالقرآن كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء: ٨٨].

وعلى ذلك يقرر:

أ. أن التحذير مقترن بالكتاب بينما التحدي مقترن بالقرآن.

ب. أن الإتيان بآيات الكتاب (التشريعات) غير معجز للبشر ولذا حذرهم ولم يتحدَّهم، بخلاف الإتيان بآيات القرآن التي تعجز البشر فتحداهم ولم يحذرهم، وفي هذا يقول: (إذا كان الكتاب هو القرآن كما يعتقد الناس فكيف يحذرهم مرة ويتحداهم مرة أخرى؟ هذا تناقض كبير جداً، ولكن إذا كان التحذير لشيء والتحدي لشيء آخر توضع الأمور في نصابها، حيث إن التحذير للتشريع "الرسالة" والتحدي للقرآن "النبوة" فالله ﷻ يحذر الناس من أمر لا يعجزون عنه، ويتحداهم بأمر يعجزون عنه، هكذا فقط يجب أن نفهم التحذير من أمر غير معجز والتحدي لأمر معجز)[1].

❁❁❁

المطلب الثاني

مفهوم خلود معجزة القرآن وسببه عند شحرور

بعد أن اختزل شحرور القرآن الكريم في بعض الآيات المتعلقة بما يسميه (آيات النبوة) وخلع عليها الصورة المادية -والتي تحول مفاهيم ومدلولات هذه الآيات إلى مفاهيم مادية

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، محمد شحرور، ص١٧٩.

تاريخية قابلة لتأويلات لا نهائية بناءً على متغيرات العقل الإنساني في تفاعله مع التطورات المادية- ربط الإعجاز القرآني بهذا المفهوم المادي من خلال مصطلحي (التصديق) و(النبوة) فيقول: (أما بالنسبة للنبي ﷺ فقد كانت معجزة نبوته هي القرآن نفسه، أي أن القرآن هو التصديق، وهو النبوة، ولم تأته النبوة والآيات البينات منفصلاً بعضها عن بعض كما كانت بالنسبة لكل الأنبياء النبوة والآيات البينات منفصلاً بعضها عن بعض. لقد شكل القرآن من الكتاب معظمه، وبما أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء فيجب أن تبقى معجزته خالدة)[1].

فالإعجاز القرآني لدى شحرور يرتكز على مصطلحي (التصديق) و(النبوة) وقد تقدم بيان مفهوم النبوة ومضامينها المادية عند شحرور، أما التصديق فهو أن القرآن مصدق للقوانين المادية، وهذا سبب خلود معجزة القرآن و(كلما تقدمت الإنسانية في العلوم والمعارف يظهر إعجاز القرآن بشكل أوضح)[2].فهو مصدق للقوانين المادية، ومع تطور العلوم والمعارف يشاهد الناس هذه القوانين فيصدقون بهذا القرآن.

ولا يفوت شحرور بعد أن فرغ التصديق من مضمونه الشرعي وشحنه بدلالات فلسفية مادية أن ينتقص قدر السلف وفي مقدمتهم صحابة رسول الله فنصيبهم من الإيمان بالإعجاز القرآني هو التسليم فقط، دون التصديق، لأن التصديق نصيب من شاهد وعرف في القرن العشرين فصدّق بالقرآن، أما من سمع ولم يشاهد هذه الآيات البينات كحقائق موضوعية فهذا نصيبه التسليم الذي هو أقل درجة من التصديق[3].

وفي سياق تأطير المفهوم المادي للمعجزات ينفي شحرور أي معجزة أخرى للنبي ﷺ فالقرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة للنبي ﷺ ويطلق عليها (الآيات البينات) بخلاف بقية الأنبياء الذين أوتوا النبوات والآيات البينات معاً، فالنبي ﷺ على حد قوله: (لم تأته النبوة

(١) الكتاب والقرآن، ص ١٨٦.

(٢) الكتاب والقرآن،شحرور، ص١٨٦.

(٣) ينظر كلامه في مقابلة تلفزيونية وهي موجودة على اليوتيوب youtube.com/watch?v=fm3vjkn0deg.

والآيات منفصلاً بعضها عن بعض كما كانت بالنسبة لكل الأنبياء... فكانت معجزته معاكسة تماماً لمعجزات بقية الأنبياء)[1].

وبغض النظر عن هذه الازدواجية في تصنيف معجزات محمد ﷺ مقارنة بمعجزات الأنبياء السابقين، فإن الهدف من هذه المقارنة هو التمهيد لنفي المعجزات الحسية لنبينا محمد ﷺ كما سيأتي في المبحث الثالث.

❁❁❁

المطلب الثالث

وجوه الإعجاز القرآني عند شحرور

يحصر شحرور وجوه الإعجاز في ثلاثة أمور:

الوجه الأول: أن القرآن سبق فيه الطرح المعقول عن المدرك المحسوس وكلما تقدم الزمن تدخل طروحات القرآن ضمن المحسوسات المدركة[2].

وكعادة شحرور يقدم لك كلاماً منمقاً ظاهره الصحة وموافقة الشرع، فإذا اطمأننت ساق لك تفسيرات واستنتاجات تعسفية لا يضبطها منهج ولا يقبلها عقل سليم.

فظاهر قوله هذا إن إعجاز القرآن يظهر في إخباره بمغيبات وحقائق علمية وتاريخية ظهرت صحتها مع مرور الزمن، ولا يكاد القارئ يكمل حتى يتضح له أن المراد بهذا الإعجاز هو مضامين الفلسفة الماركسية وقوانين الديالكتيك التي يعتبر اكتشافها فتحاً عظيماً في العصر الحاضر، ويدلل على هذا الإعجاز بأمرين:

الأول: أن القرآن سمي قرآناً من المقارنة والاستقراء، أما المقارنة فلأنه (قرن أحداث الطبيعة بأحداث التاريخ) وأما الاستقراء فهو استقراء النظرية الماركسية (فمن القرآن نستقرئ النظريات العلمية المادية والتاريخية)[3].

---

(١) الكتاب والقرآن، ص ١٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٦.

ولن أناقش ما في هذا التفسير للقرآن من تأويل باطني، وتلاعب باللغة وتجريد للألفاظ من دلالتها الحقيقية وتحميلها بمضامين فلسفية مادية ماركسية، فإنه مما يعرف بأدنى فهم، ولا يخفى على العامي البسيط فضلاً عن طالب علم أو قارئ مثقف أن مادة (القرآن) في اللغة تختلف تماماً عن مادة (الاستقراء) و(المقارنة). فهذا من مسلمات اللغة وبدهياتها ولكن من عرف خلفية الرجل العلمية في اللغة لا يستغرب.

أما الدليل الثاني على هذا الوجه الإعجازي للقرآن عند شحرور فهو: أن القرآن صاغ لنا قوانين الديالكتيك في آياته منذ أربعة عشر قرناً. ويستدل للجدل الديالكتيكي بقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[الذاريات: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[يس: ٣٦]، ثم يوضح وجه الاستدلال على الإعجاز القرآني فيقول: (لقد قال منذ أربعة عشر قرناً ووضع في عالم المعقولات أن هذا الكون قائم كله على الأزواج "قانون الزوجية" في كل شيء مطلقاً، في الذي نعرفه والذي لا نعرفه، وقد حذرنا من أن ننسى هذه الحقيقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذاريات: ٤٩]،ثم إنه وضع لنا في عالم المعقولات قوانين جدل المتناقضات والأزواج والأضداد، ولهذا سميت آيات النبوة قرآنا من الاستقراء، فمن القرآن نستقرئ النظريات العلمية المادية والتاريخية بالإضافة إلى أنه قرن الحقيقة الموضوعية المادية مع الحقيقة التاريخية)[1].

وهكذا انطلق محمد شحرور من خلفيته الماركسية وفرضها على القرآن بطريقة عبثية بعيدة عن أي مسوغ علمي أو ضابط منهجي، فهي ليست قراءة للقرآن وإنما قراءة ماركسية استخدم فيها القرآن كغطاء شرعي لبث الفلسفة الماركسية وقوانينها المادية دون أن يشعر القارئ.

الوجه الثاني من وجوه الإعجاز القرآني عند شحرور: احتواؤه الحقيقة المطلقة للوجود والفهم النسبي لهذه الحقيقة حسب الأرضية المعرفية للعصر الذي يحاول فهم القرآن فيه[2].

(١) السنة الرسولية، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٧.

وهنا يتكئ على النظرية النسبية التي تفتح النص فتحاً فوضوياً دون أي معايير علمية، فيزعم أن نصوص القرآن ثابتة في اللفظ متحركة في المعنى، بحسب الظروف الزمانية والمكانية، وعليه فلا امتداد لفهم القرآن، فمعانيه تختلف بحسب التفاعل معه والمرتبط بالظروف الاجتماعية والتاريخية المتغيرة والذي لا يستثنى منه حتى فهم النبي ﷺ للنص القرآني، وهذا المعنى المتحرك هو خاصية (التشابه) والتي يعتبرها شحرور (سر الإعجاز الأكبر في القرآن)[1].

وقد حرص شحرور على استخدام النظرية النسبية في تأويل القرآن الكريم بل واعتبرها وجهاً من وجوه الإعجاز لما تقدمه له من فضاء تأويلي يسمح بفتح النص إلى عدد لا نهائي من التأويلات ينتفي معه أي معيار لتقييم صحة مفهوم النص من عدمه، فكل المعاني صحيحة وكل التأويلات مقبولة.

وخلاصة الأمر أن هذه الفوضوية في فهم النص والعبثية في تفسيره هي سر الإعجاز القرآني عند شحرور.

الوجه الثالث: جمع القرآن بين الصياغة العلمية الموضوعية وبين الصياغة الأدبية والشعرية الغنية بالصور الفنية.

وأول ما يتبادر إلى الذهن عند قراءة هذا الوجه الإعجازي عند شحرور أن المقصود إعجاز القرآن لفظاً ومعنى، وقد تطرق العلماء لوجوه الإعجاز البياني والعلمي والبلاغي وغيرها من وجوه الإعجاز الكثيرة، وإذا تجاوزنا الاستطراد والحشو في شرحه لهذا الوجه الإعجازي فإنه يمكننا ذكر النتيجة المسبقة التي أرادها من ذكر هذا الوجه وتتلخص في أمرين:

الأول: لمز السلف وانتقاصهم وهذا ديدنه في جميع كتبه حيث يزعم (أن كل ما كتب عن إعجاز القرآن عند السلف إنما يتعلق بالجزء الأدبي)[2]، والمشكلة أن المهندس شحرور يصدر أحكاماً قطعية دون أن يكلف نفسه عناء البحث فيما كتبه السلف والعلماء عن وجوه الإعجاز القرآني والتي لم يقتصر على الجانب البياني والبلاغي والإخبار بالغيبيات المستقبلية، وأخبار

(١) السنة الرسولية، ص١٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٧.

القرون السابقة والأمم البائدة، والأحكام والتشريعات التي يتعذر على البشر مثلها، بل تطرقوا حتى لأثره على نفس القارئ والسامع ونحوها من وجوه الإعجاز الكثيرة التي تحدث عنها العلماء السابقون.

وهذا منهج شحرور في جميع المواضيع التي يُجهل فيها السلف وينتقص من قدرهم وأفهامهم ويطلق أحكامه عليهم مع جهله الشديد بكتبهم وجهودهم.

الثاني: نفي الإعجاز عن اللفظ القرآني ويستشهد على هذا النفي بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[هود: ١٣].فيقول: (القرآن نفسه يقول إنه لو كان المقصود بالإعجاز بالصياغة فقط دون المضمون لأمكن للناس صياغة بعض القطع الأدبية التي تشبه القرآن من الناحية الصنعية فقط)[١].

ثم يستنتج من هذا أن القرآن طلب الإتيان بعشر سور مفتريات ووضع الإعجاز فيها لأنه يمكن للمفتري أن يأتي بأقل من عشر سور[٢].

❁❁❁

المطلب الرابع

آيات التحدي

حظيت آيات التحدي في حقل العلوم القرآنية بدراسة مفصلة حول نزولها ومراحلها ودلالتها، ولكن حرص شحرور على استبعاد أي قراءة سابقة مهما كانت هذه القراءة ضابطة لفهمه وتفسيره وفق مناهج علمية دقيقة. وقدم قراءة جديدة لآيات التحدي تتسم بالغرابة، ومهما تتبع الباحث هذه التأويلات لاستخراج معنى جامعاً لهذه الآيات، فلن يخرج منها إلا بمفهوم واحد هو (اللامعنى).

(١) الكتاب والقرآن ص١٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص١٩٠.

أما المنهجية التي سلكها لتفكيك هذه الآيات وتفريغها من مفهوم الإعجاز فتظهر من خلال استنباطه مقومات الآيات القرآنية التي تحدى الله بها المشركين، وكذلك تقسيمه الشاذ لآيات التحدي.

أولاً: مقومات الآية القرآنية التي تحدى الله بها المشركين:

وضع شحرور مقومات وخصائص تميز الآية القرآنية التي هي موضع التحدي، وهي مقومات تتعلق باللفظ ومدلوله ومصدره وهي كالآتي:

١. ثبات الصيغة اللغوية.
٢. حركة المحتوى بشكل يتناسب مع معقولات القارئ العالم، وهذا ما يسمى بالتشابه.
٣. أن يكون الموضوع غير تشريعي، حيث إن القرآن لا يحتوي على مواضيع تشريعية[٣].

ومع أن هذا المعنى كرره شحرور كثيراً، لكنه في كل مرة يؤكد على تفكيك القرآن الكريم وتجزئته وحصره في آيات يطلق عليها آيات النبوة، مع احتفاظه بلفظها دون معانيها الخاضعة للفهم النسبي المتعدد بتعدد القراءات والأشخاص والأفهام والمتغيرات الكونية والعلمية والمادية.

فأي إعجاز في لفظ لا معنى له، أبرز خصائصه الفهم المفتوح على كل المعاني والدلالات والتي تختلف باختلاف القراء وإن كان على حساب المقصد الشرعي للنص، وبذلك يصبح مدلول النص القرآني حقاً مشاعاً لكل قارئ مهما اختلفت منازعه الفكرية وخلفيته الثقافية، ولذا جعل شحرور هذا التأويل اللانهائي هو سر الإعجاز القرآني.

والمشكلة أنه يقدم هذا الطرح الفوضوي العبثي متستراً بالمنهجية العلمية التي يدعيها لنفسه، ليتمكن من نفي الإعجاز وزحزحة مفهومه الشرعي وإلباسه مفهوماً يتناغم مع فلسفته المادية التي يعتبرها مرجعية مقدسة وغير قابلة للنقاش.

ثانيا : تقسيم آيات التحدي :

بناءً على ما تقدم من مقومات الآية القرآنية يصنف شحرور آيات التحدي إلى نوعين:

النوع الأول: التحدي بأن يكون الموضوع غير قرآني والصياغة قرآنية، ومقصده من الموضوع غير القرآني أن لا يكون الموضوع من القوانين المطلقة للطبيعة والتاريخ، ويستشهد لهذا النوع بآية التحدي بعشر سور التي وردت في سورة هود فيقول: (لو كان المقصود بالإعجاز الصياغة فقط دون المضمون لأمكن للناس صياغة بعض القطع الأدبية التي تشبه القرآن من الناحية الصنعية فقط وهذا ما جاء في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾[هود: ١٣]. في هذه الآية جاء النوع الأول من التحدي وهو أن يكون الموضوع غير قرآني والصياغة قرآنية. وهذا ما سماه بالافتراء، ففي هذه الحالة طلب عشر سور ووضع الإعجاز فيها، فيمكن أن نستنتج بالضرورة أن المفتري يمكنه أن يأتي بأقل من عشر سور..... فالمطلوب بالضبط هو أن يؤخذ موضوع غير قرآني مفترى)، ثم يورد مثالاً لهذا النوع من التحدي، وهو مثال لا يخلو من طرافة، ولكن أسوقه هنا ليقيس القارئ المستوى العلمي والمعرفي والفكري لشحرور وأدواته المعرفية في فهم النصوص الشرعية فيقول في التمثيل لهذا النوع من آيات التحدي: (مثال على ذلك قصة حب بين رجل وامرأة أو قانون علمي موضوعي كقانون الجاذبية، وتصاغ هذه القصة أو القانون بشكل قرآني، أي أنها يجب أن تحتوى على الشروط التالية:

١. أن تحوي على القوانين المطلقة للحب بشكل يفهمها كل قارئ حسب وعيه ومداركه عن الحب، أي أن تحتوي على علاقة جدلية بين المطلق والنسبي.
٢. أن تكون فيها المعقولات عن الحب تسبق المحسوسات "أي الإخبار عن الحب سبق معلومات الناس عنه".
٣. أن تصاغ صياغة فنية رفيعة.

هذه الشروط الثلاثة وبشكل خاص الشرطان الأول والثاني هي التي تسمح بالتأويل)[1].

(١) الكتاب والقرآن، ص١٨٨.

هذا مثال واحد من أمثلة شحرور وأقيسته العقلية التي تكشف عن الهشاشة العلمية والمعرفية لدى الرجل وافتقاده أبسط الأدوات المعرفية التي تؤهل للفهم والتعقل فضلاً عن الاجتهاد والتصدر للناس.

النوع الثاني من آيات التحدي: التحدي بأن يكون الموضوع قرآنياً والصياغة قرآنية.

ويستشهد لذلك بالتحدي بسورة واحدة في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[البقرة: ٢٣].

وقد فرقت القراءات السابقة للعلماء بين (بسورة مثله) وبين (بسورة من مثله) اعتماداً على المراحل الزمنية والمكانية لنزول القرآن، فالمكية طالبت بالمثل دون (من) باعتبار أن المخاطبين في العهد المكي هم العرب، أما آية البقرة فالمخاطبون في العهد المدني هم الناس أجمعين فجاءت مشتملة على (من) الدال على التبعيض.

ولما كانت هذه القراءات منطلقة من معهود الخطاب في لسان العرب وكذلك مباحث علوم القرآن فقد اعتبرها شحرور تراثية خاضعة للأرضية المعرفية للقرن السابع الميلادي، وقدم قراءته الجديدة مضيفاً عليها الصبغة المادية فيقول في بيان التحدي في سورة يونس: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[يونس: ٣٨] (المطلوب في هذا التحدي سورة واحدة فيها كل الشروط المذكورة أعلاه وبأية لغة كانت، بحيث يكون الموضوع قرآنياً والصياغة قرآنية وموضوع القرآن هو القوانين المطلقة للطبيعة والتاريخ، فالمطلوب بهذا التحدي صياغة قوانين جدل الطبيعة وجدل التاريخ صياغة جدلية بحيث تفهم هذه الصياغة حسب الأرضية المعرفية للعصر الذي تقرأ فيه)[1].

أما الآية التي وردت بلفظ (بسورة من مثله) فقد استخدم فيها مراوغته اللغوية واستطراداته المشتتة للمعنى في التفرقة بين التنزيل والإنزال، ملمحاً إلى أن ما ورد في الكتاب سوى آيات القرآن ليس وحياً يقول: (فهنا جاءت الآية للذي يشك في التنزيل، وبما أن التنزيل

(١) الكتاب والقرآن، ص١٩٠.

جاء للكتاب ومن ضمنه القرآن وهو أكثر من سورة لذا قال: (سورةٍ من مثله).. فالذي يعتقد أن القرآن كان من محمد ﷺ محتوى وصياغة فما عليه إلا أن يحاول أن يأتي من مثل هذا الذي يشك بأنه وحي)[1]، وقد تخبط كثيراً في مصطلحي (الإنزال) و(التنزيل) وتناقض في تطبيقاتهما إلى حد كبير، فقد طبقهما على إنزال وتنزيل الملائكة، والمن والسلوى، والماء، ومائدة الحواريين، ومباريات الكرة في التلفاز، وإنزال تفاحة نيوتن دون تنزيلها، وأخيراً الذكر والقرآن وأم الكتاب. وكل تطبيق لهذه المصطلحات يزيد الأمر سوءاً ويكشف عن اضطراب وغموض مفاهيمهما لدى شحرور فضلاً عن الجهل باللغة والشريعة بل بما يفهمه عوام المسلمين.

النوع الثالث من آيات التحدي: التحدي الأكبر وهو اجتماع الإنس والجن قاطبة لغاية واحدة وهي الإتيان بمثل هذا القرآن فإنهم لا يستطيعون تحقيقها[2].

ومقصوده بهذا النوع قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء: ٨٨].

وهذا الإقرار من شحرور بأن المعجز للبشر هو الإتيان بمثل القرآن كاملاً يتناقض مع نفيه للإعجاز في النوعين السابقين بل مع تصريحه على قدرة البشر على صياغة ما يقل عن عشر سور مفتريات، والحقيقة التي يدركها كل باحث في فكر شحرور هو الاضطراب والتشتت في عرض الفكرة إلى درجة التناقض.

هذا باختصار موقف شحرور من الإعجاز القرآني الذي جرد فيه هذا المصطلح من كل مدلولاته الشرعية بدءاً بإزاحة شطر كبير من الآيات القرآنية من مسمى القرآن والذي ينزاح معه كل ما ورد فيها من الإعجاز اللغوي والتشريعي والغيبي، ثم التلاعب المصطلحي بمدلول الإعجاز ليضمنه قوانين الجدل الديالكتيكي، ثم ادعاء قدرة البشر على الإتيان ببعض آيات القرآن، كل هذه المغالطات العلمية والأخطاء المنهجية يقدمها شحرور للقارئ بوثوقية تامة كنموذج للمنهج العلمي القائم على البرهان والدليل مع افتقادها لأبسط قواعد البحث العلمي وأصوله.

❁❁❁

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٩٠.

(٢) نفس المصدر، ص١٩١.

المبحث الثالث

موقف محمد شحرور من المعجزات الحسية

المطلب الأول: نفيه للمعجزات الحسية:

إن معجزات الأنبياء الحسية حدث حقيقي موضوعي كما يعتقده جمهور المسلمين، ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وهي دلالة على صدق نبوتهم.

ولما كان الإيمان بها يتضمن خروجها عن قوانين المادة المحسوسة كان لابد أن يرفضها شحرور، ولذا فقد سجل في اعترافه الظاهري بالإعجاز القرآني بأنه المعجزة الوحيدة لمحمد ﷺ وجعلها مقدمة لنفي ما سواه من المعجزات، وفي إزدواجية معهودة عند شحرور يقر شكلياً بالمعجزات المادية للأنبياء السابقين بينما ينفيها نفياً صريحاً عن النبي ﷺ باستثناء معجزتي: (الإسراء) و(انشقاق القمر) وإن كان قد مارس عليها قراءته النقدية بأدواته المستوردة لتفريغها من معانيها وتضمينها معانيه الجديدة التي تنتظم في خطوط العقل المادي، وقد ارتكز في نفي المعجزات الحسية على تفسير المعجزة الحسية تفسيراً مادياً يجردها من الإعجاز، فالمعجزة عند شحرور هي مفهوم ذهني نتيجة تأخر المعقول عن المحسوس، وليست فعلاً إلهياً خارقاً للسنن الكونية، وهي لجميع الأنبياء ما عدا محمد ﷺ وفي هذا يقول: (المعجزة عند كل الأنبياء قبل محمد ﷺ هي تقدم في عالم المحسوس "ظاهرة الطبيعة" عن عالم المعقول السائد وقت المعجزة "كشق البحر" ولكنها ليست بحال من الأحوال خروجاً عن قوانين الطبيعة أو خرقاً لها... أي هي عبارة عن قفزة زمنية إلى الأمام في تطويع قوانين الطبيعة)[1] وفي موضع آخر يعرفها بأنها: ما يعجز الإنسان عن وضع تفسير معقول له. ولذلك (وفي بداية الأنسنة كانت ظواهر الطبيعة، معجزات فالشمس والقمر والرعد والبرق والمطر لم يكن بمقدور الإنسان وضع تفسير معقول لها، فاتخذ من بعضها آلهة أحياناً، ثم تدرج في الوعي شيئاً فشيئاً، وتزامن الأمر مع إرسال الله لأنبيائه ومرسليه)[2]، ولكن ومع قانون التطور-بحسب شحرور- بدأ الوعي عند الإنسان

(١) الكتاب والقرآن، ص ١٨٦.

(٢) المعجزة والعقل لشحرور وهي مقالة على موقعه، shahorour.org/p=17711 بتاريخ، ٨ إبريل، ٢٠١٩م.

واستطاع تفسيرها ففقدت صفة الإعجاز حيث يقول: (وكان لابد أن يؤيدهم الله بما يُبهر ويمنحهم مصداقية أمام أقوامهم، ولم تكن هذه البينات إلا من ضمن قوانين الطبيعة حتى لو شكلت قفزة زمنية فيها، فاستطاع إبراهيم تحمل النار التي ألقاه بها قومه،، وتمكن موسى من تقديم عرض من البينات الحسية من العصا واليد والجراد والقمل والضفادع وغيرها، وأحيا المسيح الموتى وشفا الأكمه والأبرص، وكل هذه معجزات مادية سبق فيها عالم المحسوس عالم المعقول)[1]. بمعنى أن هذه كانت معجزات في ذلك الزمن الذي ارتبطت فيه بظروف تاريخية تحكم فكر الإنسان، لكن مع التطور الزمني وازدياد الوعي تمكن العقل البشري من تفسيرها في ضوء العلم التجريبي فانتفى عنها الإعجاز.

وفي نفس السياق يؤكد أن هذا التدرج في الوعي الإنساني أدى إلى تناقص المعجزات (حيث أصبحت المحسوسات لها تفسير على أرض الواقع، ويمكن للعقل أن يدرك حيثياتها)[2]، وبهذا المعنى تتحول المعجزة من كونها فعلا إلهيا خارقا لنواميس الكون إلى صورة ذهنية يمكن للعقل تفسيرها مع تطور الإنسانية.

هذا فيما يتعلق بمعجزات الأنبياء السابقين، أما معجزات نبينا محمد ﷺ فقد نفاها جملة وتفصيلاً وإن كان يتناقض أحياناً ويثبت معجزتي الإسراء وانشقاق القمر لكنه إثبات كالعدم يجعلها تدور في فلك النظرية التأويلية التي تفسرها بصور ذهنية أو دوافع نفسية تنفي وجودها الحقيقي في الواقع، ويمكن تلخيص مفهوم المعجزة الحسية لدى شحرور في الآتي:

- المعجزة الحسية ظاهرة طبيعية وليست خارجة عن قوانين الكون[3].
- ليست حقيقة موضوعية وإنما مفهوم ذهني لدى الإنسان الأول نتيجة عجزه عن تفسيرها[4].

(١) المعجزة والعقل، شحرور.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: الكتاب والقرآن، ص١٨٦.

(٤) الكتاب والقرآن، ص١٨٣، والمعجزة والعقل لشحرور، وهي مقالة على موقعه shahorour.org/p=17711 بتاريخ، ٨ إبريل، ٢٠١٩م.

- اكتسبت صفة الإعجاز قديما بسبب السبق الزمني في تطويع قوانين الطبيعة[1].
- افتقدت صفة الإعجاز حديثاً مع تقدم العلم والوعي الإنساني الذي تمكن من تفسيرها[2].
- كل الأنبياء كان لهم معجزات حسية ما عدا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يؤت معجزة سوى القرآن الكريم[3].

❁❁❁

المطلب الثاني

الاستدلال على نفي المعجزات الحسية بالقرآن الكريم

يؤكد المهندس شحرور في أكثر من كتاب وفي عدة مواضع على أن القرآن الكريم ينفي مجيء الرسول ﷺ بأية معجزات مادية، وأن كل ما ذكر عنه في السنة النبوية جرى تلفيقه ونسجه في الأحاديث والمرويات[4].

ويستشهد لهذه المغالطة العلمية بدليلين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾[هود: ١٢][5].

ويستنتج من ذلك أن القرآن (لم يغفل عن ذكر الموقف الذي ضاق فيه ﷺ صدراً من سؤال معاصريه عن الإتيان لهم بمعجزة مادية وعجزه عن ذلك، فجاء الوحي مثبتاً له)[6] بهذه الآية.

الدليل الثاني: الآيات التي حكى فيها القرآن تعنت المشركين وأهل الكتاب في طلب المعجزات، فاستشهد بها شحرور على نفي المعجزات الحسية كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ

(١) الكتاب والقرآن، ص١٨٣-١٨٥، والمعجزة والعقل لشحرور.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكتاب والقرآن، ص١٨٦.

(٤) السنة الرسولية، ص٣٨.

(٥) المصدر السابق، ص٣٨-٣٩.

(٦) المصدر السابق، ص٣٨-٣٩.

قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾[الأعراف: ٢٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾[يونس: ٢٠].

ومع ظهور دلالة هذه الآية على نفي اصطناع النبي ﷺ للمعجزات من تلقاء نفسه، ونسبتها إلى فعل الله ﷻ وقدرته وخلقه وعلمه وحكمته إلا أن شحرور يتعسف في تأويلها مستنتجاً من هذه الآية أن (القرآن لم يثبت حدوث أي معجزة مادية مشخصة (مرئية) له حياته، وهذا ما جعل من عاصروه خصوصاً أهل الكتاب يستغربون ذلك)[1].

ولا شك أن هذا التأويل التعسفي ينبئ عن قصور في الاطلاع على القرآن الكريم وعلومه، والذي ولد بدوره جهلاً غير مبرر في معاني القرآن الكريم ومبانيه.

❁❁❁

المطلب الثالث

مبررات شحرور في نفي المعجزات الحسية عن النبي ﷺ

يبرر شحرور نفيه للمعجزات الحسية بثلاثة أسباب أنقلها بنصها، وليتحمل القارئ التكرار الذي يشكل خللاً بنيوياً في كتابات شحرور، ولكن لا مفر من ذلك التكرار عند الاستشهاد بنصوصه حيث قال: (فالنبي ﷺ لم يأت بمعجزات مادية وذلك لأسباب ثلاثة:

١. التنزيل الحكيم، وهو المرجع الأصلي بالنسبة إلينا نفى تماماً ذلك، فيما المعجزات المادية كانت جزءاً أساسياً للأنبياء قبله، مثل داوود وسليمان والمسيح.
٢. المعجزات التي نسبت إلى النبي في الأحاديث متناقضة مع ما جاء في القرآن الكريم من نفي لحدوث معجزات على يديه ﷺ. والمعجزة الوحيدة له هي القرآن الكريم والسبع المثاني، لأنه مع مرور الزمن يتم ظهورها مادياً

(١) السنة الرسولية، ص٣٨.

٣. أغلب المعجزات إن لم نقل جلها متناقض تماماً مع الحقائق العلمية والمستوى المعرفي الذي توصلت إليه الإنسانية اليوم)[١].

ونظراً لتكرار السبب الأول والثاني في مواضع متعددة، فالتركيز هنا سيكون على السبب الثالث الذي اصطنع فيه شحرور أشكلة النص الشرعي مع العقل والعلم، والتي احتذى فيها منهج القراءات الحداثية السابقة بغرض تحقيق أيدلوجية معينة ونتيجة مسبقة، وقد طبقها هنا لتنحية النص الشرعي لصالح العقل زاعماً أن هذه المعجزات تتعارض مع العقل فيقول: (ولأن الرسول محمد ﷺ حمل الرسالة الخاتم التي ستستمر إلى قيام الساعة، فإنه لم يؤت معجزات مادية قد لا تصمد يوماً أمام العقل، وإضافة لكونه افتتح عصر المساواة والتعددية، افتتح أيضاً عصر العقلنة، فلم تحتو رسالته على ما لا يقبله العقل، وإن كنا نجد غير ذلك في التنزيل الحكيم، فهذا يعني أن هناك خللا ما في قراءتنا وعلينا إعادة التأويل) ولم يكتف شحرور باستخدام سلطة العقل لرفض النص النبوي الوارد في المعجزات بل يتذرع بسلطة العلم فأغلب المعجزات على حد قوله: (متناقضة تماماً مع الحقائق العلمية والمستوى المعرفي الذي توصلت إليه الإنسانية اليوم عن طريق الإنجازات والتطورات العلمية، وهذا ما ينفي صحة متونها، حتى وإن صحت أسانيدها)[٢].

وإمعاناً في إقصاء النص الشرعي في مقابل العقل والعلم نجده يستخدم ألفاظاً من قبيل (الترهات) و(الخرافات) و(الأساطير الشعبية) في وصف هذه المعجزات، وكأن الإيمان بالمعجزات دلالة الجهل والتخلف والاعتقاد بالخرافة، بل بلغ به استعداء الإيمان بالمعجزات إلى حد اعتبار هذا الإيمان نوعاً من الشرك بالله، ومن يعتقد بأن النبي ﷺ أوتي معجزات مادية فقد (جعله شريكاً لله في الخلق والتصرف في الطبيعة وتحقيق خوارق الطبيعة)[٣].

(١) السنة الرسولية، ص٣٨-٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٠.

وفي إطار نفي العقلنة عن المعجزات المادية فقد استفاد المهندس شحرور من منهج المستشرقين في الاعتماد على الأحاديث المكذوبة والموضوعة في موضوع المعجزات كما سيأتي.

ولإقناع القارئ بخرافة المعجزات وتبرير إيمان السلف الصالح بها يقدم تفسيراً فرويدياً لهذا الإيمان بالمعجزات وهو أنه (لم يرق لكتاب السيرة النبوية أن يتفوق باقي الرسل على رسولنا في هذا المجال من شفاء الأبرص والأكمه إلى إحياء الموتى إلى شق البحر) ومع احتكاك المسلمين الأوائل بالشعوب المجاورة والاطلاع على ثقافاتهم وقصص معجزات أنبيائهم كل هذا جعلهم على حد قوله: (لا يقبلون لرسولهم بأقل مما أوتي موسى وعيسى من معجزات مادية، فإذا كان الحجر قد تفجر لموسى، فقد تفجر لمحمد، وإذا انشق له البحر فالرسول أيضاً عبر الماء لغزو خيبر، وإذا أبرأ عيسى المريض فمحمد أيضاً استطاع شفاء المرضى، وإذا كان موسى قد كلمه الله، فإن محمداً صعد إلى السماء ليلاقي ربه ويقرع الأبواب) وإمعاناً في أسطرة المعجزات ونفي العقل عنها يختم قوله بأسلوب ساخر من معجزة المعراج قائلاً: (وكأن الله سبحانه جالس في بيت ذي أبواب ولديه حراس يسمحون لهذا ويمنعون ذاك)[1]، ولا شك أن هذا الاستدلال وإن كان يؤكد للقارئ ضحالة شحرور الفكرية وجهله الواضح بالدين وبأساسيات الشريعة ومصادرها ومناهج الاستدلال وقواعده في الفكر الإسلامي، إلا أنه ومن خلال منهجيته التي استخدمها فتح الباب أمام القارئ للبحث عن دوافع خفية وراء هذه القراءة الشاذة والتي أشار إليها بعض رفاق دربه في الحداثة كما سيأتي في المبحث الرابع.

❁❁❁

المطلب الرابع

موقفه من النصوص الشرعية الواردة في المعجزات الحسية

إذا تتبعنا النصوص الشرعية الواردة في المعجزات المادية الحسية نجد أن السنة النبوية قد انفردت بها، باستثناء معجزتي الإسراء و انشقاق القمر حيث وردتا في القرآن والسنة جميعاً.

(١) المعجزة والعقل، ١٨إبريل ٢٠١٩م.

وقد كان تعاطي شحرور مع المعجزات مزدوجاً بحسب موقفه من المصدر، فمنهجيته في تنحية النص الشرعي القرآني تختلف عن منهجيته في تنحية النص الحديثي، والنتيجة المستهدفة في كلتا المنهجيتين نفي المعجزات الحسية.

أولاً: منهجية شحرور في التعامل مع النص القرآني الوارد في المعجزات الحسية.

لقد اضطر المهندس شحرور اضطراراً للتعامل مع النص القرآني حيث لم يتمكن الحداثيون بكافة أطيافهم من إنكاره، ولكن طبق عليها قراءته المعاصرة التي تنتهي إلى إزاحة النص الشرعي واستبدالها بمفاهيم حداثية تتوافق مع مستجدات العصر والعلم الحديث بنفس مادي ماركسي. والغريب أنه أغفل ذكر معجزة انشقاق القمر، ولعله لم ينتبه لها خاصة وأنه مزجى البضاعة في القرآن.

أما معجزة الإسراء دون المعراج فهي المعجزة الحسية الوحيدة التي استطرد في تأويلها سواء في النص القرآني أو الحديثي بخلاف بقية المعجزات التي ينفيها إجمالاً دون التوسع في نقدها.

ولننتقل إلى قراءته الموجهة في نفي معجزة الإسراء في القرآن وهي قراءة لا تحتاج إلى عناء لمعرفة مراده من هذه القراءة.

وقد تمثلت قراءته النقدية لمعجزة الإسراء بالتشكيك في حدوثها بدعوى: أن القرآن أوجز في وصف هذه المعجزة المهمة والمميزة فهو على حد قوله: (لم يشرح الموضوع إلا في آية واحدة التي وردت في الإسراء، أما ما ورد في سورة النجم فالمقصود بها رؤية جبريل)[1].

ثم يشكك في حقيقة الإسراء والمسرى به وهو محمد ﷺ فيقول مستخدماً المنهجية التفكيكية: (الأسئلة والتكهنات حوله عديدة، سواء من جهة معنى الإسراء، أو من جهة عبده باعتبار سياق الآيات الوارد بعد الآية أعلاه ينتقل مباشرة إلى موسى)[2].

(١) الصفحة الرسمية لشحرور على الفيس بوك، بتاريخ٢ أبريل ٢٠١٩م.

https://m.facebook.com/Dr.Mohammad.sharour/posts/2198658866917568

(٢) الصفحة الرسمية لشحرور على الفيس بوك، بتاريخ٢ أبريل ٢٠١٩م.

https://m.facebook.com/Dr.Mohammad.sharour/posts/2198658866917568

ثم يستخدم التاريخية بشكل معكوس لنفي معجزة الإسراء عن محمد ﷺ بأن (عمر بن الخطاب حين دخل القدس صلى في نطاق كنيسة القيامة ولم يهتم لموضع الإسراء)[1].

وهنا لم يقيد شحرور هذه الحادثة وأحكامها بزمن وظروف معينة، بل قبلها وقبل امتدادها إلى عصرنا الحاضر رغم تناقض ذلك مع المنهج التاريخي الذي يروج له في مشروعه النقدي.

ثم يختم نقد هذه المعجزة بأسلوب لا يخلو من تأثير استشراقي ومنهج مادي لا يعترف بغير المادة فيقول: (فإن صحت قصة الإسراء التي نعرفها فهي معجزة خاصة به وحده لمواساته في حزنه على وفاة زوجته، ولراحة نفسه، ولذلك لم يرها أحد غيره، لا في مكة، ولا في القدس، والناس آمنوا بها تصديقاً)[2]، ولا يخفى ما في هذا التفسير من تلميحات إلى الوهم والمرض النفسي والخيالات، وهي تفسيرات مستمدة من الخطاب الاستشراقي والذي برز بوضوح في كتابات شحرور وسائر الحداثيين.

أما المعراج فلم يجد صعوبة في إنكاره ونفيه لعدم ورود لفظه في القرآن حيث يقول: (وبالنسبة للمعراج لا وجود لأي دليل في التنزيل الحكيم على حدوثه)[3][4].

فماذا بقي من معجزة الإسراء والمعراج في ضوء قراءته المعاصرة لهذه المعجزة؟!

ثانياً: منهجيته في التعامل مع نصوص المعجزات الحسية الواردة في السنة النبوية:

يتنكر محمد شحرور لجميع المعجزات الحسية الواردة في السنة النبوية جملة وتفصيلاً، فهي في نظره خرافات وأساطير وحكايات شعبية أو بهارات على حد قوله[5].

(١) الصفحة الرسمية لشحرور على الفيس بوك، بتاريخ٢ أبريل ٢٠١٩م.

https://m.facebook.com/Dr.Mohammad.sharour/posts/2198658866917568.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) يلاحظ أن شحرور استخدم هنا مصطلح التصديق بمعناه الشرعي مع أنه استطرد سابقاً في نقضه وأسس لمفهوم جديد لمصطلح (التصديق) لانتقاص الصحابة رضوان الله عليهم في إيمانهم بالمعجزات وتصديقهم بها وهذا التخبط والتنافض سمة أساسية في كتاباته.

(٥) ينظر: على سبيل المثال السنة الرسولية، ص٧٥.

وقد سارت منهجيته النقدية لمعجزات السنة النبوية في شقين:

الأول: نقد عام لجميع المعجزات الواردة في السنة النبوية.

الثاني: نقد خاص تفصيلي لمعجزة الإسراء والمعراج.

أما فيما يتعلق بالنقد العام فقد شمل جميع المعجزات الواردة في الأحاديث النبوية حيث ينفيها جملة، دون دراسة أسانيدها ومتونها، أو على الأقل الاطلاع على الجهود السابقة في تمحيصها والحكم عليها، مما أوقعه في أخطاء علمية لا يقع فيها حتى العوام، حيث أدخل فيها الموضوعات والخرافات والمكذوبات ونسبة كثير من الخرافات - من قبيل انشقاق البحر وإحياء الموتى وسجود الجبال- إلى معجزات محمد ﷺ، في ضعف علمي واضح لا تخلو منه كتابات شحرور ليكشف في كل مرة عن افتقاده للأساسيات في العلم الشرعي، وقد سار في هذا النقد اللامنهجي في اتجاهين:

نقد الإسناد، ونقد المتن بأسلوب عبثي يدل على غياب تام للمعرفة بالمنهج النقدي الذي وضعه علماء الحديث وبنوا عليه قواعد الجرح والتعديل.

١. نقد الإسناد:

ينطلق شحرور في نقد السلاسل السندية للأحاديث من محاولة نسف مفهوم عدالة الصحابة التي استعملت بحسب رأيه كسيف مسلط على رقاب الناس لمنع الاجتهاد والتفكير في كل ما من شأنه مخالفة ما ثبت عنهم(١)، كما أطلق قلمه للقدح في عدالة الصحابة رضي الله عنهم وانتقاصهم فهم على حد قوله: (لا يمتلكون أي عدالة مطلقة تدفعنا إلى أخذ كلامهم على محمل القدسية والتنزيه)(٢). بل يحاول نسف خيريتهم وتفضيلهم على من بعدهم زاعماً أن الصناعة الحديثية اقتضت تزكيتهم لأخذ كلامهم على الإطلاق، وتقديسهم عند رواية الأسانيد بوصل الأحاديث إليهم حتى تأخذ صدقية أكثر ولا يجري التشكيك فيها وبذلك تحوز الأحاديث على

(١) السنة الرسولية، ص٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٦٩.

قبول الناس، وفي تكذيب صريح لحديث (خير القرون..)[1] يدعي أن أكبر عمليات التزوير على النبي ﷺ بدأت في هذا القرن[2].

ولا يتورع شحرور عن انتقاصهم -رضوان الله عليهم- ووصف مستواهم المعرفي بالبدائي، ولذا يصرح برفضه لروايتهم وفهمهم فيقول: (إذا سألني سائل الآن "ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم الكتاب والقرآن"؟ فجوابي بكل جرأة ويقين هو: كلا لا يسعني ما وسعهم، لأن أرضيتي العلمية تختلف عن أرضيتهم، ومناهج البحث العلمي عندي تختلف عمّا كان عندهم، وأعيش في عصر مختلف تماماً عن عصرهم، ... وبالتالي فقد بات واضحاً أن سياسة الصحابة في عملية صناعة الحديث إنما كانت خطة جدّ محكمة لفرض هيمنة هذه الصناعة ورواجها)[3].

هذا على مستوى نقد مفهوم عدالة الصحابة، أما على مستوى النقد الفردي للصحابة فقد انصب تركيزه على المكثرين من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ فيقول متظاهراً بالمنهجية العلمية: (إن شخصاً مثل أبي هريرة وهو من أكثر ناقلي الحديث لم يجتمع مع الرسول إلا في ثلاث سنوات فقط .... وهذا الشخص للأسف اعتبرناه سيدنا وأخذنا عنه معتقداتنا)[4].

أما عبد الله بن عباس فلا: (يعرف النبي، ولا اجتمع به قبل الفتح، إذ كان يقيم في مكة مع أبيه الذي لم يهاجر مع من هاجروا إلى المدينة. حتى بعد الفتح، عاد النبي صلى إلى المدينة وبقي ابن عباس مع أبيه في مكة، وهو ابن ثمان. فمن أين له نقل الحديث، ونحن اليوم لا نقبل شهادة طفل في هذا السن ببيع أو شراء دراجة، فكيف قبل المحدثون ذلك؟)[5].

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الشهادات وفضائل الصحابة والرقاق والأيمان، ومسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥.

(٢) السنة الرسولية ص٦٩.

(٣) المصدر السابق، ص٧١.

(٤) مقال بعنوان: الإسلام بين الحقيقة والموروث محمد شحرور،على الموقع الرسمي لشحرور، Shahrour.org .

(٥) الموقع الرسمي لشحرور: Shahrour.org/?page_id=548.

وفي سياق الجهل بقواعد نقد المتون التي نظر لها علماء من أمثال ابن الصلاح وابن القيم والسيوطي يتهم علماء الحديث باعتمادهم في تصحيح الأحاديث على السلاسل السندية (من خلال قال فلان عن فلان أو روى فلان عن فلان بالسعي من خلال هذه الصناعة الحديثية إلى الحرص على تسلسل الأسانيد وصحتها من دون التحرز من كونها قد تكون مخالفة للكتاب المنزل متناً، وذلك بسبب انعدام البحث العلمي لدى هذه الاتجاه)[1].

ولم يقف عند حد تجهيلهم بالصنعة الحديثية بل اتهامهم الصريح بالوضع (حيث ظهر المهرة من علماء الحديث وتخريج الرجال وطبقات المحدثين لوصل الأحاديث وترقيع أسانيدها حتى تصل إلى الصحابة، ومن ثم إلى الرسول مهما كانت محتويات متونها)[2].

٢. نقد المتن:

إذا كان المحدثون قد حاكموا متون الحديث بناء على معايير دقيقة تعتمد على الكتاب والسنة والعقل الصحيح قرروها بعد معايشة ومدارسة وتضلع من سنة رسول الله ﷺ فإن الحداثيين قد حاكموا متون الأحاديث اعتماداً على مفاهيم وأدوات أفرزتها الفلسفات الغربية فأنتجت معايير متساوقة مع العقل الحداثي العلماني والتي أصبحت قوانين حتمية للتعامل مع النص الشرعي مهما كانت نتائجه مخالفة لقطعيات الدين وثوابته.

ولما كان العقل الحداثي هو المعيار الحاكم عند شحرور في نقد متن النص الشرعي، فقد رفض جميع هذه الروايات مطلقاً عليها أوصاف من قبيل "التلفيق" و"الكذب" و"الاختراع" و"التضخيم" كما يربط في غير موضع ما بين المعجزات وبين الأسطورة والخيال والخرافة، معتبراً أن هذه الروايات تسهم في (تأسيس فكر خرافي لدى الناشئة، وترسم صورة أسطورية لقدرات النبي الخارقة)[3].

(١) السنة الرسولية، ص٢٥.

(٢) نفس المصدر، ص٢٥.

(٣) السنة الرسولية، ص٣٨.

أما التقنيات التي اعتمدها في أسطرة معجزات النبي ﷺ فهي استمدادات استشراقية غربية فتارة يستدعي الفرويدية النفسية لرد روايات المعجزات فيقول: (احتكاك المسلمين الأوائل بالشعوب المجاورة، والاطلاع على ثقافاتهم بما تحتويه من غث وسمين، وما تحمله مللهم من قصص، جعلهم لا يقبلون لرسولهم بأقل مما أوتي موسى وعيسى من معجزات مادية)[1].

وتارة أخرى يستورد التجربة المسيحية فكما (أن الديانة المسيحية مرتبطة بشخصية المسيح حصراً، لأن كلامه كان عندهم هو كلام الله، فإن كل الأناجيل، على اختلاف أنواعها، عبارة عن السيرة الذاتية للسيد المسيح. والأمر ذاته حصل عندنا بالنظر إلى أن الأحاديث أصبحت تمثل لدينا السيرة الذاتية للرسول ﷺ، فالمسيحية تقوم على تأييد المسيح، وشعائرهم الدينية تدور حول شخصيته حصراً: عيد الميلاد، عيد الفصح، حتى القداس هو الحضور الحي للمسيح، لأن المسيح بذاته عند النصارى هو الشهادة الإلهية لا الإنجيل، بينما الشهادة الإلهية عندنا نحن المسلمين هي"الكتاب المنزل" وليست شخصية النبي)[2].

وتارة يعتمد تقنية التسييس فيقول: (الحاصل أن السلطات المتعاقبة في تاريخ الأمة، وأثناء فتوحاتها للبلدان الأخرى، واجهت مشكلة في إقناع شعوب تلك البلدان بالدين الجديد الذي تحمله، لعدم قدرتها على مواجهة المعجزات المادية التي كان يعرف بها الرسل والأنبياء من قبل. ولعدم تمكنهم من فهم البعد الغيبي الإعجازي للقرآن، ومن ثم شرحه لهذه الشعوب، اتجهوا إلى وسيلة نسبة الكم الكبير من المعجزات المادية إلى النبي ﷺ لإقناع هذه الشعوب بنبوته)[3].

هذه أمثلة من الأدوات والاستمدادات التي اعتمدها شحرور في نفي أحاديث المعجزات، وهي لا تخرج عن المنظومة الحداثية في اقتباسها للفلسفات الغربية المادية، ومقارنة

(١) المعجزة وسبات العقل، شحرور، ٨ أبريل ٢٠١٩م.

(٢) السنة الرسولية باختصار، ص٢٥، ٢٦.

(٣) السنة الرسولية، ص٤٠-٤١.

يسيرة بين ما كتبه ديفيدهيوم[1] وشحرور يتبين أنه كان ناقلاً فقط، وكانت المنهجية العلمية تقتضي التصريح بمصادره بدلاً من نسبتها لنفسه تحت مسمى تجديد التراث.

أما معجزة الإسراء والمعراج فقد أفردها بنقد تفصيلي على غرار نقدها في القرآن الكريم، وليس المقصود بالتفصيلي أنه درس روايتها من حيث المتون أو السند أو اتبع منهجاً علمياً وقواعد منضبطة تحظى باحترام القارئ فضلاً عن الباحث، وإنما مجرد استطرادات وتشكيكات حول الإسراء والمعراج وكلها تبين حقيقة موقف الرجل من المعجزة دون أدنى تفكير.

وقد صدّر الحديث عن هذه المعجزة العظيمة بقوله: (أما حديث الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات الخمس فيه الذي رواه مسلم في صحيحه .... تأتي القصة الواردة فيه على رأس القصص التي أفرد لها التراث عشرات -إن لم نقل مئات- الصفحات في كتب الحديث وكتب السيرة وكتب الأخبار، وكلها حوت من الروايات الشعبية ما يحول القصة القرآنية إلى خرافة، والنبي العربي إلى أسطورة، في الوقت الذي لم تتجاوز فيه قصة الإسراء في التنزيل الحكيم آية واحدة)[2] يقصد سورة الإسراء.

وفضلاً عما في هذه النص من مغالطات بدهية إلا أنه يختصر لنا حقيقة معتقده في معجزة الإسراء والمعراج، ثم ينتقل إلى التشكيك في حدوث الإسراء باستناده على اختلاف الروايات في وقت وكيفية وقوعه فيقول: (ثلاثون صحابياً وصحابية رووا قصة الإسراء ومنهم مقاتل قال: إن الإسراء حصل قبل الهجرة بسنة، وقيل بسنتين، وقيل بثلاث...)[3].

---

(١) ينظر: مبحث في الفاهمة البشرية-ديفيدهيوم- ترجمة: د. موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٥١، ونقد إشكالات هيوم على مفهوم المعجزة، رضا زيدان، مركز الدلائل،١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ص٥-١٥. وديفيدهيوم هو فيلسوف اسكتلندي، ولد سنة ١٧١١م، معروف بشكوكة الفلسفية الراديكالية والتجريبية، واشتهر لتأثيره في تطور مدرستين فلسفيتين هما: مذهب الشكوكية ومذهب التجريبية، توفي سنة ١٧٧٦م.

(٢) السنة الرسولية، ص٧٥، وحديث الإسراء رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات حديث ١٦٢، ص٤٨-٤٩.

(٣) السنة الرسولية، ص٧٥.

ويبدو أن الرجل يظن أنه أول من اكتشف هذا الاختلاف ولم يعلم أن العلماء الجهابذة قد نقدوا هذه الأحاديث منذ مئات السنين، وفحصوها متناً وإسناداً، وبينوا المضطرب منها، وانتهوا إلى اتفاق الأمة على صحته وعلى وقوعه[1].

وفي إطار الجهل بمصادر التلقي والاستدلال نراه يستشهد بكتب الشعراني[2] والحلبي[3] فيقول: (ورغم المحاولات المستميتة للتوليف بينها، وجدت الأمة نفسها أمام مشكلة محيرة، إلى أن جاء عبد الوهاب الشعراني وأبو الفرج علي بن إبراهيم الحلبي وجماعة من المتصوفة، ليقرر أولهم أن إسراءاته ﷺ كانت أربعة وثلاثين بينما اكتفى الباقون بثلاثين، فهل يعقل هذا؟)[4]، ثم يورد عدداً من التشكيكات التي تدل على هزال في المعرفة وضمور في ملكة المقاومة تجاه الفكر الغربي والفلسفة الغربية الوافدة فيقول: (متى حدث الإسراء؟ وهل يمكن أن يكون قد حدث أكثر من مرة مع أنه وردت فيه آية وحيدة، فكيف يمكن أن يتدفق عنها هذا الكم الهائل من التفاسير والخرافات على أيدي المفسرين؟ كيف للنبي ﷺ أن يرى الأنبياء)[5].

ثم يختم نقده لهذه المعجزة الثابتة بالكتاب والسنة بالتصريح باحتقار النص الشرعي وازدرائه فيقول: (نستغرب كأن حراس أبواب السماء لا يعرفون من هو القادم ومن هو

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط٢٧، ١٤١٥هـ، (١/ ٩٧).

(٢) الشعراني هو: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، من علماء الصوفية، ولد سنة ٨٩٨هـ في مصر، وتوفي في القاهرة سنة ٩٧٣هـ، له مؤلفات منها: البحر المورود في المواثيق والعهود، والأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين الغزي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ، ٣/ ١٧٦.

(٣) الحلبي هو: علي بن إبراهيم بن أحمد نور الدين الحلبي، مؤرخ، أديب، أصله من حلب، مولده ووفاته في مصر، توفي سنة ١٠٤٤هـ، وله مؤلفات كثيرة منها: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروف بالسيرة الحلبية، ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للحموي، دار صادر، بيروت، ٣/ ١٢٢.

(٤) السنة الرسولية، ص٧٦، باختصار، ويقصد كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود للشعراني الصوفي المتوفى سنة ٩٧٣هـ، والسيرة الحلبية لنور الدين الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤هـ.

(٥) السنة الرسولية، ص٧٦.

المغادر)[1]، وإمعاناً في الاستهزاء بالنص الشرعي يصف (الحديث بين الله وبين الرسول ﷺ كأنه صفقة تجارية سمسارها موسى عليه السلام...)[2].

وأخيراً لا يجد شحرور حرجاً في وصف هذا الحديث بأنه هراء في سبيل الوصول إلى النتيجة التي استهدفها وهي نفي معجزة الإسراء والمعراج فيقول: (وليس لنا إلا أن نقول عن هذا الكلام إنه هراء)[3].

❁❁❁

المطلب الخامس

موقفه من المؤلفات الواردة في المعجزات الحسية

يعلن شحرور موقفه من المؤلفات الواردة في المعجزات بكل صراحة بأنها مخترعة ومكذوبة وضعت لأسباب نفسية أو سياسية، ويستند في موقفه هذا على منهج انتقائي مضطرب كعادته وقد سار فيها مسارين متوازيين:

الأول: مهاجمة كتب السنة التي وردت فيها المعجزات وأن كل ما ورد فيها عن معجزات النبي ﷺ (تقولٌ عليه، لم يدَّعِهِ ولم يكن بحاجته، بل اختراع في قرون لاحقة بعد الاحتكاك مع الملل الأخرى ولا سيما المسيحية)[4]، ويقول في موضع آخر: (لم يعلم الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم أن ما خطته أيديهم سيشكل ديناً يهتدي به مئات الألوف إن لم يكن الملايين بعد مئات السنين، ولم يتصوروا أن فهمهم للإسلام أو الأحاديث التي اخترعوها أو جمعوها ستكون منارة لأناس يأتون بعدهم في عصور يصل الناس فيها للفضاء ولا يحق لنا بالطبع إلا افتراض حسن النية فيما يفعله هؤلاء الأئمة والمحدثون فهم ليسوا مسؤولين عن غفلتنا عبر

(١) السنة الرسولية ص٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص٧٦.

(٤) المعجزة والعقل، شحرور، ٨أبريل ٢٠١٩م، shahrour.org/?=17711.

القرون، وربما لم يخطر في بالهم أن ما اقترفته أيديهم يحرف الإسلام ويشوهه حتى سيصبح أتباعه خارج التاريخ)[1].

الثاني: الاستشهاد بالمؤلفات والروايات التي اشتهرت بالوضع والكذب على رسول الله ﷺ والتي هي أقرب إلى الخرافات والأساطير.

وفي سبيل تأييد موقفه ينتقي الكتب التي اشتهرت بالوضع ويستبعد كتب السنة المعتمدة، بل ويتهمها بالخضوع للأدلجة والتوظيف السياسي، ولذا نراه يعتمد كثيراً على الكتب الصوفية التي يجد فيها ضالته من الخرافات والأساطير ككتاب (الخصائص الصغرى) للسيوطي و(السيرة الحلبية) للحلبي وكتب المجاهيل ككتاب (التشريعات في الخصائص والمعجزات) لمؤلف مجهول، وهذا الخطأ المنهجي والعلمي لا يمكن التغاضي عنه حتى وإن صدر من طالب علم مبتدئ، فكيف بمن يتصدر لمشروع إسلامي.

وحقيقة أن الباحث قد يعجز عن تتبع هذه السقطات فلا تكاد تخلو صفحة من هذه التناقضات، ولكن اكتفي بمثال أخير عن هذا الضعف العلمي والفكري والمنهجي في محاولة بائسة لتكذيب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيها: (وهنا نستحضر ما قاله الراحل جورج طرابيشي ت (٢٠١٦م) في كتابه "المعجزة أو سبات العقل في الإسلام" ليس يصعب على مستقرئ كتب السيرة هذه أن يلاحظ أن باب معجزات النبي فيها يخضع خضوعاً شبه ميكانيكي لقانون التضخم طرداً مع مرور الزمن، فبعد أن كانت لا تتعدى عند "ابن سيد الناس" في كتاب "عيون الأثر" الثلاث صفحات، امتدت إلى السيرة الحلبية لتشكل خمس وعشرين صفحة، حتى وصلت عند ابن كثير إلى مئتين وخمس وثلاثين صفحة فهل لنا أن نعيد العقلنة لديننا ونبتعد عن الترهات)[2].

❁❁❁

(١) الإسلام بين الحقيقة والموروث، شحرور، على الموقع الرسمي لشحرور.shahrour.org.

(٢) المعجزة والعقل ٨ إبريل ٢٠١٨م. وهو يشير إلى كتاب المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، لجورج طرابيشي، دار الساقي ط١، ٢٠٠٨م، وقد جمع طرابيشي فيه قدراً كبيراً من الروايات التاريخية والقصص والأساطير حتى من كتب الشيعة في سبيل تكذيب المعجزات مع الاستدلال بأقوال الفلاسفة الغربيين الذين أنكروا وقوع المعجزات.

المبحث الرابع

تقييم ونقد موقفه النقدي للمعجزات

بعد هذا العرض لموقف شحرور من المعجزات والذي نسف فيه أصول وقواعد قطعية تواطأ عليها المسلمون خلال أربعة عشر قرناً من تفرد القرآن الكريم بخصائص أكسبته مفهوم الإعجاز وأولها مصدريته الإلهية وما يترتب عليها من إعجاز لفظي وخبري وتشريعي وغيبي وبلاغي اقتضتها هذه المفارقة المصدرية التي لا تخضع لقوانين العالم المشهود ولا تلتزم بنواميس المحسوس والتي انسحبت بدورها على مفاهيم النبوة والوحي وما ارتبط بها من المعجزات كدلائل على صدق النبوات.

وحيث إن مناقشة هذه النتائج التي تشكك في المسلمات وتناقض البديهيات لا يفيد كثيراً، فإن التركيز سيكون على منهجيته ومقدماته لا على مخرجاته، وعلى الآلية الفاعلة في إنتاج هذه المخرجات لأنه إذا انهدمت الأسس والمقدمات سقطت النتائج تبعاً.

إن هذه النتائج التي تعد خروقات علمية وشرعية أنتجتها مغالطات علمية ومنهجية وقع فيها شحرور ويمكن أن نجملها في الآتي:

❁❁❁

المطلب الأول

المغالطات العلمية

حفلت الحقول النقدية الغربية بمناهج ونظريات متتابعة ومتطورة نتيجة التصارع الدائم والتضارب المستمر ليعلن كل منهج عن تميزه ويؤكد على سلبيات الآخر، وكلما دخلت معرفة أو تيار فكري تغيرت الدلالة والأهداف تبعاً لتطور العلوم الإنسانية في الغرب، ولذا فإنه لا يوجد منهج يمكن الاعتماد عليه بشكل قاطع لتفسير النص ومدلولاته، وهذا يحتم على الناقد العلمي الإفصاح عما يحيط بهذه النظريات من الاضطراب والتناقض وفقدان الثبات وليس طرحها كحقائق قطعية لا تقبل الشك[1].

(١) ينظر: إشكاليات المناهج النقدية الغربية وأثرها في النقد العربي المعاصر، د. سماح خميس مسعود عبد الرزاق، بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد العاشر، أبريل ٢٠١٧م، ص١٩١.

إن من أهم الإشكالات العلمية التي وقع فيها شحرور هو الترويج لهذه النظريات المتعارضة والمتذبذبة كعلوم وحقائق يقينية، ولم يكن هذا التدليس هو المغالطة العلمية الوحيدة لشحرور، بل نجده ينقل بوعي أو بغير وعي من كل نظرية ما يخدم فرضياته المسبقة مهما كان فيها من تعارضات، مما أوقعه في التناقض والاضطراب والتذبذب الذي أصبح سمة من سمات كتاباته، وهذا الاضطراب العلمي سببه تحديد النتيجة مسبقاً والبحث بين المناهج والنظريات التي تحقق له هذه النتيجة.

ولتوضيح هذا التناقض فقد سارت هذه المناهج النقدية الغربية في مسارين:

الأول: المناهج النقدية السياقية والتي تدرس النص من الخارج وأبرزها المنهج التاريخي والاجتماعي والأسطوري والنفسي.

الثاني: المناهج النقدية النسقية والتي تدرس النص من الداخل وأبرزها البنيوية والتفكيكية ونظرية التلقي[1].

وقد استخدم شحرور المنهج التاريخي الذي يرفض تفسير النص بمعزل عن ظروفه الزمنية والعرفية والبيئة واللحظة التاريخية، مما يقيد النص ويمنع امتداده عبر التاريخ.

ومع توالي المناهج النقدية كردود أفعال على بعضها البعض في محاولة لتلافي السلبيات المنهجية ومواكبة المستجدات العلمية والفكرية الغربية ظهرت المناهج النقدية النسقية وأبرزها البنيوية التي يعتمد فيها الناقد على بنية النص ونسقه مبتعداً كل البعد عن إطاره السياقي الخارجي، ومهمة الناقد عزل النص عن الأنساق التاريخية والاجتماعية، فيدرسه كنص مجرد الوجود[2].

هذا وقد ظهر المسار النقدي النسقي بظهور اللسانيات البنيوية التي تعتبر منبعاً لأكثر المناهج النقدية المعاصرة.

(١) ينظر: إشكاليات المناهج النقدية الغربية وأثرها في النقد العربي المعاصر د. سماح خميس، ص١٨٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٨٢.

ومفهوم البنيوية المعاصرة كمنهج نقدي محاط بإشكالات علمية كثيرة، ولم يتفق النقاد الغربيون على مفهوم محدد ضابط لها، ومع ما يحيط به من غموض واضطراب وقلق في البيئة التي نشأ فيها إلا أن شحرور يعتمده كمنهج مسلم في بناء مشروعه المعاصر.

ثم انبثقت التفكيكية من داخل البنيوية كنقد لها، وانصب اهتمامها على مشكلات المعنى وتناقضاته ليزعزع فكرة البنية الثابتة ويبرهن على طبيعة التناقض المعرفي بين النص والإساءات التي تحدث في القراءة وذلك بالكشف عن تعدد المعاني واختلافها والتشكك في إمكانية فهم النصوص بشكل قاطع، إذ تظل عمليات القراءة هي المولّدة للقراءات المتعددة(١).

وهذه النظرية كسابقتها من حيث إشكالية المفهوم وهلامية المصطلح، إلا أن فتحها للقراءات المتعددة واللانهائية أسهم في دق جرس خطر الفوضى التأويلية، والذي لاحظه حتى رواد النظرية نفسها.

ولذلك لم تحظ هذه النظرية بالقبول المطلق في الأوساط النقدية الغربية، بل حوربت حتى في بلد المنشأ في فرنسا ولم تنتشر إلا بعد هجرتها إلى بلدان أخرى(٢).

وكذلك المنهج الاجتماعي الذي يربط النص بشروط اجتماعية معينة، ويقيد مفهوم النص بتفاعل المجتمع مع النص في زمن معين، ولا امتداد أيضاً لهذا المعنى. وكذلك النقد الأسطوري النابع من نظرية الأنثربولوجيا(٣) التي تتبع بدايات الجنس البشري وموروثاته.

وهذا النقد القائم على الموروث الشعبي أو الأسطوري استخدمه شحرور في تفسير نصوص المعجزات باعتبارها تجسيدات لأنماط وبنى أسطورية، فليس للنص الشرعي أي معنى أو قيمة وإنما التركيز على سمات البنية الرمزية التي تربطه بأساطير قديمة، وكأن أحاديث المعجزات الحسية مجرد وثائق تاريخية أسطورية وليست حقائق موضوعية.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٨٢.

(٢) ينظر: ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، خالد السيف، ص١٤٠.

(٣) الانثربولوجيا هي الفرع الذي يهتم بعلم الإنسان وجعله محور البحث الفلسفي فيما يتعلق به من جوانب فكرية ومعرفية وجوانب علمية أو نفسية. ينظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، (١/ ٢٣٠).

ثم انتقل إلى المنهج النفسي الذي يفسر النصوص على أنها حلم يقظة يكتبه المؤلف تنفيساً عن رغبات كامنة وتجسيد لمشكلات وعقد نفسية تشغل فكر الكاتب، لتصبح أحاديث المعجزات معبرة عن رغبات كامنة في نفوس الصحابة والمحدثين الذين كانوا يحلمون بوجود معجزات مادية لمحمد ﷺ أسوة ببقية الأنبياء.

وإذا كان اعتمد اللسانيات كمنهج معلن، فإنه لم يشر من قريب أو بعيد إلى المعارضات والنقد الغربي الموجه إلى النظرية والسجال القائم بين مدارسها حول قدرتها على تحديد المدلولات والمعاني بشكل قطعي والتي تستبعد الدلالة اللفظية الكامنة في اللفظ لصالح السياقات الاجتماعية وغيرها(١).

أيضاً محاولة تطبيق المادية الماركسية في تفسير النصوص والتي تربط بين المادة والفكرة ربطاً حتمياً، باعتبار أن الفكر انعكاس للمادة، وهذا غير لازم في جميع الأحوال فالأديان والاكتشافات والنظريات العلمية كلها جاءت مخالفة ومعاكسة للواقع المادي الذي ظهرت فيه واستطاعت أن تؤثر فيه وتغيره حتى أصبح تابعاً لها وليس العكس. ولذا رفض بعض النقاد الغربيين استخدام الماركسية كأداة تحليل للنصوص واعتبروها غير مفيدة إلا لبعض مراحل التاريخ المعاصر(٢).

ومن أشهر الآليات المادية التاريخية في تفسير النصوص التأويلات السياسية بحيث تختزل المعنى في مدلولات سياسية، وقد حاول شحرور تطبيقها في أحاديث المعجزات، والتي يزعم أنها وضعت لتحقيق أهداف سياسية ولإخضاع الشعوب وإقناعهم بدخول الإسلام، في تأويل متعسف يرفضه العقل البسيط، وليس من المعقول استبعاد كل مفاهيم النص ومدلولاته وأدواته الضابطة لصحته وفهمه وتفسيره واختزاله في قراءة سياسية من خارج النص وبأداة مفارقة للمنشأ والمعتقد والبيئة التي ظهر فيها النص في فوضوية علمية ومنهجية جعلت من هذه

(١) تنظر هذه المعارضات في ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، خالد السيف، ص٣٩٧.

(٢) ينظر: نظرية التأويل الحديثة، خالد السيف، ص٣٩٩.

التأويلات أنموذجاً معاصراً لتأويلات القرامطة والباطنية والتي يعلم القارئ بالاضطرار بطلانها دون أن يحتاج إلى دليل خاص على ذلك.

والمقصود أن شحرور لفق بين هذه النظريات ونقلها بإشكالاتها الجوهرية وتعارضاتها كحقائق مسلمة وهذا خلل علمي لا يمكن التجاوز عنه، فإذا أضفنا إليها الازدواجية في الاستمداد من هذه المذاهب مهما كان بينها من تعارض في سبيل تحقيق النتائج المسبقة عرفنا فداحة المغالطات العلمية التي تكشف عن غياب وعي بأصول المذاهب النقدية الغربية. ويبدو أنه عندما أراد تطبيقها لم يبذل الجهد الكافي لاستيعابها وتصورها ثم نقلها، ولم يحرص على الوقوف عليها في مصادرها الأصلية، وإنما اعتمد على النقولات عنها فوقع في تقليد التقليد.

ومن صور غياب الاستيعاب لدى شحرور أنه لم يفرق بين ما اكتمل تأسيسه من هذه المناهج الغربية وبين ما زال في طور البناء ولا زال محاطاً بعلامات استفهام على بعض أسسها أو وظائفها[1]، ولا تعدو كونها محاولات أو مشروع لم يكتمل على حد قول هبرماس[2].

هذه المعرفة السطحية وعدم استيعاب النظريات الغربية أدى إلى أن يتسم مشروعه بالتخبط العلمي والتناقضات التي لا تخفى على قارئ بل والغرابة التي وصلت إلى حد الشذوذ.

هذا التخبط العلمي والتلفيق بين النظريات الغربية لصالح نتائجه المسبقة لم يقبله حتى رفاقه في طريق الحداثة، ولذا وصف نصر حامد أبو زيد هذه القراءة بأنها (قراءة تلوينية مغرضة)[3] لأنها (تتجاهل السياق المنتج للدلالة)[4] واعتبرها (نموذج فذ للقراءة الأيديولوجية المغرضة التي لا تتجاهل السياق الثقافي فقط، بل تتجاهل الطبيعة الأساسية للنص، ناهيك عن

(١) ينظر: استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٢.

(٢) (الحداثة مشروع لم يكتمل) أو(مشروع لم ينجز) مقولة مشهورة للفيلسوف الألماني هبرماس وقد كان عنوان محاضرة قدّمها سنة ١٩٨٠م، وجعلها مقدمة في التمهيد في كتابه القول الفلسفي للحداثة، ص٥.

(٣) لماذا طغت التلفيقية على كثير من مشروعات تحديد الإسلام، مقالة لنصر أبو زيد، مجلة الهلال، العدد ١٠، بتاريخ ١ اكتوبر ١٩٩١م، ص١٨.

(٤) المنهج النفعي، نصر حامد أبو زيد، مجلة الهلال، العدد ٣، ١٩٩٢م، ص٥٧.

مستويات السياق الأخرى التي يتم الوثب فوقها وتجاهلها)[1] مصرحاً بأن شحرور (يخوض في مسائل ميتافيزيقية لا برهان عليها إلا الارتباطات الذهنية التي تعتمد على موقفه الأيديولوجي)[2] بهدف تحقيق (أغراض نفعية مباشرة خاصة)[3].

هذا النقد الذاتي للمشروعات الحداثية يكشف عن مدى الخلخلة العلمية في هذه النظريات المستوردة والقوادح التي صاحبت هذا الاستيراد والتي تجعلها غير صالحة للتطبيق على النصوص البشرية فضلاً عن النصوص الشرعية.

ولم يكن غياب الوعي بأصول النظريات الغربية هو الآفة الوحيدة عند شحرور بل صاحبها غياب الوعي التام بالنصوص الشرعية التي يتصدر لنقدها وتفكيكها، وقد وضع العلماء ضوابط علمية دقيقة تحفظ النصوص الشرعية من الهدر الباطني والتأويل الفوضوي[4]، هذه الضوابط تمثل الحد الأدنى لمن أراد أن يتصدر للاجتهاد في الشريعة، والحقيقة التي يصل إليها كل قارئ لكتبه أو متابع لبرامجه أن الرجل يفتقد الحد الأدنى الذي يمتلكه عوام المسلمين[5].

❁❁❁

(١) النص، السلطة، الحقيقة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٥م، ص١١٦.

(٢) المنهج النفعي، ص٥٧-٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص٥٧.

(٤) تنظر هذه الضوابط في الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل العزازي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٧هـ، ٢/ ٣٣٠١، وما بعدها.

(٥) فالرجل لا يحسن قراءة القرآن مما يجعله فاقداً للأهلية العلمية فضلاً عن الملكة النقدية، إن هذا التصدر رغم الضعف العلمي الواضح يجعل من مشروعه مشروع تلفيقي بامتياز، ولا علاقة له بالعلمية بل هو أبعد ما يكون عنها.

المطلب الثاني

الأخطاء المنهجية

إن قيمة الأفكار ومدى صحتها مرتبطة بمدى التزامها بالمنهج العلمي المجمع عليه في حقل معرفي معين، وقد وقع شحرور في جملة أخطاء وآفات منهجية أفقدتها قيمتها وأفقدت نتائجه مصداقيتها.

١. تجاهل البعد المصدري للنصوص الشرعية.

من المسلم به أن الخلفية الفكرية تحدد طريقة التعامل مع النص الشرعي وطريقة قراءته، وفرق بين من ينطلق من النص يبحث عن معانيه ومدلولاته باعتباره رسالة ختم وهيمنة وتصديق وبين من ينطلق من خارج النص يلتقط من العلوم والمناهج ما صح وما لم يصح ويجعلها متناً والنص هامشاً يدور معها حيث دارت مهما فارقت مقاصده وسياقه متوهماً أنه بذلك يقدم قراءة معاصرة(١).

وأيا ما كانت الخلفية الفكرية لشحرور فإن الاعتداد بتصريحاته المعلنة عن الإيمان بالقرآن والنبوات يضع شحرور أمام إشكاليات علمية ومنهجية، ليس أقلها التناقض والتضارب بين هذه الأفكار المبعثرة، وليس من المعقول أن يقبل القارئ بأن شحرور لا يعلم أن إخضاع النص الشرعي لمناهج النص الأدبي الغربي فيه استبعاد لخصوصية المصدرية والمقاصدية وتطرح أمامه إشكاليات من قبيل موت المؤلف وغياب المقصد والنص المفتوح وسلطة القارئ، وهذا قطعاً يتنافى مع الإقرار بألوهية النص الشرعي وما يتبع ذلك من الإقرار بمفارقته كونه كلام الله تعالى وكذلك الإقرار بنبوة محمد ﷺ وما أوتي من دلائل ومعجزات تثبت صدق نبوته ورسالته للعالمين.

وإذا كان تطبيق آليات تأويلية كموت المؤلف والمعنى اللانهائي وسلطة القارئ على النص مقبولاً في بعض المدارس على النصوص البشرية، فإنه لا يمكن القبول به إطلاقاً في النصوص

(١) ينظر: الخلفية الفكرية الموجهة للقراءات الحداثية للقرآن ونقد أطروحة التسوية بين الكتب المقدسة، سعيد شبار، بحث منشور بمجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد ٥٩، ٢٠١٠م، ص٦٠.

الإلهية، فلا مكان لموت المؤلف إذا كان المتكلم هو الله ﷻ لفظاً ومعنى كالقرآن أو معنى كالسنة النبوية الصحيحة.

ولا قبول بغياب المقصد أو التأويلات اللانهائية وسلطة القارئ التي تلغي مقاصد القرآن والنبوات من الهداية والنور والإرشاد وبيان الحق وتعليمه للناس، كل هذا لا يمكن القبول به مع النصوص الشرعية والتي لها قواعد مهيمنة استمدتها من مصدريتها الإلهية منها كون النص يمتلك امتياز الصحة والبيان ويفرض قواعده وأساليبه وأدواته بناء على قدسيته التي تأتي من داخله لا من خارجه وهذه القدسية تعني سلطته التامة على القارئ، وحدود سلطة القارئ مع النص هو الإصغاء والفهم لمعناه والانقياد له والتعبد بمقتضاه وفق آليات وأدوات تفسيرية مستمدة من خصائصه ولغته وبيئته الثقافية التي نزل فيها، وتجاهل هذا كله واستيراد دراسات نقدية ارتبطت بحل مشكلة الكتب المحرفة وما فيها من تناقضات وخرافات فيه تصريح ضمني بالتشكيك في ثبوت القرآن وحفظه وفي نبوة محمد ﷺ وتكذيب بمعجزاته وأعظمها القرآن.

٢. استعارة مناهج من بيئة مفارقة لبيئة النص الشرعي.

إن استعارة منهج وافد واقتطاعه من أصوله المعرفية وسياقه التاريخي ونقله إلى مجال معرفي يخالفه في الأصول والسياق ستؤدي حتماً إلى نتائج مشوهة، فالبيئة الغربية انطلقت من مقدمات أساسية جوهرية بناء على الرؤية الكلية للوجود والمعرفة والكون والإنسان والغيب والتي تتعارض كلياً مع الرؤية الإسلامية التي شكلها الوحي وتقوم على أساس التوحيد المبني على الغيب.

هذه المناهج الغربية نشأت في ظروف لها خصوصيتها في البيئة الغربية لأجل معضلة التناقض الحاصل بين معطيات العلم الحديث وبين فهم الكنيسة للنص المقدس ونتج عنها احتكار الكنيسة لفهم النص المقدس.

ومحاولة استنساخ التجربة الغربية وحركة النقد العنيفة التي أطاحت بقدسية الكتاب المقدس رغم اختلاف الظروف والأرضية العلمية خيانة فكرية ومغالطة منهجية.

إن هذه الاستعارة المشوهة شكلت أزمة فكرية سببها خصوصية المنهج كأداة إجرائية ذات خلفيات معرفية ارتبطت بخصوصية النص الغربي الذي عملت عليه هذه المناهج، وتفسير النص بوسائل إجرائية بهدف استكشاف مفاهيمه ودلالاته يخضع بالضرورة لخصوصية النص وبيئته ومنشئه، ومحاولة اقتطاعه من سياق آخر يعد أزمة حقيقية في المنهج.

إن نقل المناهج واستيرادها اعتباراً لنتائجها مع تجاهل تام لخلفيتها المعرفية يتضمن الجهل بماهية المنهج، حيث تحول المنهج كأدوات إجرائية إلى قالب توضع النصوص بداخله، بدعوى أنها مجرد إجراءات مستقلة عن الفضاء الفكري الذي نشأت فيه، وهذه دعوى غير ممكنة، فالأدوات الإجرائية لا يمكن أن تنفصل عن خلفياتها الفكرية وهويتها الثقافية التي ارتبطت بها ونبتت في أرضها(١)، وبكل بساطة يحاول المهندس شحرور تطبيقها بمضامينها الفلسفية على النصوص الشرعية. وبدلاً من أن يصبح النص الشرعي منارة وهدى للقارئ يصبح حقلاً تجريبياً لتقديم المناهج الغربية، وبدلاً من أن يصبح النص الشرعي معبراً عن التوحيد والإيمان بالنبوات والتصديق بدلائل النبوة ومن بينها المعجزات، أصبح يعبر عند شحرور عن الماركسية المادية الجدلية التي ترفض ما سوى المادة، وبذلك يتحول المنهج من مجرد وسيلة إلى غاية يستدل بالنص على مدى كفايته الإجرائية.

إن تحول المنهج إلى غاية، وتطويع النص ليلائم المنهج، بل واستنطاقه بما ليس فيه من التفسيرات الماركسية أدى إلى تشويه المعاني وطمس الدلالات الحقيقية وغرابة المعاني وشذوذها فضلاً عن الاضطراب والغموض الذي لازم قراءته.

إن المنهج النقدي يصبح وسيلة لتقريب المعاني وبيانه إذا كان محصلة التفاعل بين النظرية التي أفرزته ومناخه الفكري والثقافي الذي نشأت فيه كما حدث في علوم الحديث وأصول الفقه.

(١) ينظر: المناهج النقدية : إشكالية التطبيق والوعي بالأصول د. فاطمة سعدون، بحث منشور بمجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي، الجزائر، العدد ٧، سبتمبر ٢٠١٦م، ص٧٣.

أما قراءة شحرور فإنها لا تنطلق من النص بهدف معرفة دلالته ولا من بيئة النص التي ارتبطت به، بل استعار منهجاً غريباً محاولاً إيجاد مبررات لأدوات المنهج المتوسل به، مما أحدث المنافرة الشديدة بين المنهج والنص، فكانت نتائجه متخبطة ومتناقضة ومشوهة.

إن هذه المنهجية التي استعارها شحرور القائمة على تجاهل الخلفية الفكرية والفلسفية الغربية وأيضاً محاولة تطويع النصوص الشرعية لملاءمة هذه المناهج الغربية أدت إلى نفور القارئ من هذه المعاني الشاذة وفشلت في تقديم قراءة تحظى بالاحترام، بل إنها عبّرت حقيقة عن الاضطراب الواضح لديه في تحديد مفهوم المنهج وأدواته الإجرائية.

❁❁❁

المطلب الثالث

الانتقائية النفعية

لا ينبغي للقارئ أن يثق بالمنهجية التي يعلنها شحرور كالحديث عن اللسانيات والمباحث اللغوية والتي يوهم بها القارئ أنه له قواعد وضوابط منهجية لا يحيد عنها، والحقيقة التي تظهر للعيان أنه لا يتقيد بالمنهجية المعلنة ولا يحتكم إليها، وإنما يلفق بين المناهج والأساليب والأدوات ما يخدم النتيجة المحددة مسبقا، فمنهجه منهج نفعي تصبح معه المنفعة هي الغاية والمنهج مجرد وسيلة وستار لتسويغ أفكار ومذاهب مناقضة لقطعيات الدين وما هو معلوم بالضرورة بدعوى الحيادية والمنهجية العلمية والموضوعية ونحوها من الشعارات التي يرددها شحرور كغيره من الحداثيين، مع أن الواقع يشهد بأن شحرور لا يحتكم إلى أي إطار منهجي معلن، وإنما مجرد تلفيق لمنظومات فلسفية متنوعة مما يجعلها قراءة تلفيقية بامتياز. ولذا اعتبرها الحداثي نصر أبو زيد (قراءة تلوينية مغرضة) لأنها تسعى إلى التلفيق بدلاً من التوفيق والتلوين بدلاً من التأويل والمنفعة بدلاً من الحقيقة[1]، مؤكداً على أن (الهدف من هذه القراءة محدد سلفاً

(١) المنهج النفعي، ص٥٧.

وهو الهدف النفعي كما يتصوره المؤلف (يقصد شحرور)، وهو استنطاق النصوص بما هو معروف وجاهز سلفاً من إنتاج وعي الآخر الأوربي)[1].

وقد مارس شحرور هذه الانتقائية النفعية بأساليب متنوعة ومتعددة ومن هذه الممارسات:

١. استخدم منهج اللسانيات في تأويل القرآن الكريم والتي تمكنه من هدر المدلولات الشرعية بعدما استعصى عليه هدر اللفظ القرآني، فهي تفتح المعنى فتحاً فوضوياً يتغير بتغير العصور وتجعل اللفظ كالمادة في حالة تطور مستمر يقبل أي معنى ويحمل أي مضمون فيصبح النص القرآني بلا دلالة ثابتة ولا تفسير نهائي، وفي المقابل استخدم في نصوص الأحاديث النبوية تفكيك النصوص من الداخل من خلال التساؤلات وإثارة الشكوك المصحوبة بالتهكم والسخرية من النص كما تقدم بيانه في حديث الإسراء والمعراج.

وكذلك تفكيك السياق الخارجي المتعلق بالرواة وأسانيد الأحاديث بشكل فج يكشف عن الجهل التام بالحديث النبوي وعلومه، وأسوأ من هذا محاولة تفكيك السياق الخارجي لأحاديث المعجزات باستيراد التأويلات السياسية أو التأويلات النفسية بعد أن عجز عن تبرير إنكاره لأحاديث المعجزات، ولا يجد أي غضاضة في هذا التخبط مادام كله تحت ستار المنهجية العلمية التي يتشدق بها.

٢. يصرح باستبعاده لكل الأدوات التي ارتبطت بالنص الشرعي منذ ظهوره والتي يعتبرها من التراث الذي يجب التخلص منه، إلا أنه يمارس انتقائيته فيعتمد اللغة وحدها -مع أنها في نظره من التراث- لتحديد دلالة الألفاظ مستبعداً الدلالة العرفية وكذلك الدلالة الشرعية التي اكتسبتها من النص الشرعي وارتبطت به وشكلت مفهومه ثم ينتقي من المنهج اللغوي مذهباً شاذاً (إنكار الترادف) لا لشيء إلا أنه يحقق له تجريد القرآن من خصائصه الإلهية كإعجازه وعصمته وحفظه وتجرده عن الزمان والمكان. ففي هذا

(١) المنهج النفعي، ص٥٧.

المذهب الشاذ يصبح القرآن شيء، والكتاب شيء آخر، والفرقان شيء ثالث والذكر شيء رابع وأم الكتاب شيء خامس، وهكذا هات فأساً وخذ قطعاً.

وقد تنبه نصر أبو زيد لتذرعه بهذا المذهب اللغوي الشاذ لتحقيق نتائجه المسبقة حيث قال: (يتوسل الكاتب بلغة تزدحم بمفردات قليلة الورود في الخطاب الديني التقليدي، وتلك المفردات مستقاة من مجالات معرفية علمية مختلفة، وأما من حيث أدوات التحليل المستخدمة فيعتمد الكاتب على بعض المفاهيم اللغوية، لعل من أهمها انتفاء وجود الترادف في اللغة، واعتماد دلالة اللفظ على السياق الذي يرد فيه، وهي أدوات تعلمها الكاتب من دراسة أوردها ملحقاً لكتابه، والحقيقة أن الدراسة -ناهيك عما تعلمه الكاتب منها- دراسة متواضعة، تظن أنها اكتشفت منهجاً للتحليل اللغوي، وهي لا تكاد تتجاوز طرح بعض المفاهيم التقليدية التي تجاوزها التراث اللغوي والبلاغي العربي ذاته، فإذا أضفنا إلى ذلك عجز المؤلف شبه التام عن التفرقة بين الحقيقة والمجاز في الاستخدام اللغوي للنصوص الدينية لأدركنا تهافت الأدوات التي ظن المؤلف أنه فتح بها فتحاً جديداً)[1].

ولم يرفض أبو زيد فقط هذا المذهب اللغوي بل رفض حتى نتائجه والتي اعتبرها نتائج مسبقة لصالح موقف شحرور الأيديولوجي فيقول: (تقسيم النصوص الدينية إلى القرآن الرسالة والكتاب النبوة هو تقسيم ينتمي إلى القراءة التأويلية المغرضة، ذلك لأنه تقسيم يهدف إلى جعل التاريخية جزءاً في بنية النص، ويجعل من باقي بنيته ميتافيزيقا، ويستند المؤلف في ذلك إلى قراءة تلوينية مغرضة لآية سورة آل عمران عن المحكم والمتشابه، فيتجاهل السياق تجاهلاً تاماً، ليحدد من عنده معاني الإحكام والتشابه، ويتحدث عن شفرتين وتنزيل وإنزال ... الخ، ويخوض المؤلف في مسائل ميتافيزيقية لا برهان عليها إلا الارتباطات الذهنية التي تعتمد على موقفه الإيديولوجي)[2].

(١) لماذا طغت التلفيقية على مشروعات تجديد الإسلام، نصر حامد أبو زيد، ص٢١-٢٢.

(٢) المنهج النفعي، ص٥٨.

٣. الانتقائية من خلال عزل اللفظ والنص عن شبكة النصوص الشرعية الأخرى، واعتبارها وحدة مجتزأة منفصلة عن سياقها الشرعي وما يحف بها من قرائن مقالية ومقامية، وبذلك يسهل التفرد بها وإهدار دلالتها وإسقاط مفاهيم جديدة عليها يعلم القارئ حتماً أنها ليست مقصودة للشارع.

لقد مارس شحرور هذا الإهدار السياقي على مستوى اللفظ وعلى مستوى النص.

أما إهدار دلالة اللفظ الشرعي وعزله عن السياق فلا تخلو صفحة من صفحات كتبه من هذا الإهدار، وقد أوردنا في موقفه من المعجزات كيف أهدر الدلالة الشرعية لمصطلح (القرآن الكريم) الذي يعد من المسلمات التي أجمع عليها المسلمون بطريقة انتقائية عبثية تخدم فرضيات مسبقة ومحددة، وكذلك إهداره لمصطلح (المعجزات) وتحميله مدلولات ماركسية.

ونفس المنهجية الانتقائية النفعية يطبقها على مستوى النص كما فعل بالآيات التي تتضمن مطالبة المشركين للنبي ﷺ بإتيانه بالمعجزات وآيات التحدي التي تجاهل فيها الاعتبارات الدلالية التي تفرضها مقتضيات السياق والظروف المكتنفة للنص كأسباب النزول للآيات وأسباب ورود الأحاديث والتي تجعل من النص الشرعي كلاً لا يتجزأ، وقد اعتبر نصر أبو زيد هذا الهدر السياقي من المعالم الأساسية في قراءة شحرور التي اعتبرها تلوينية مغرضة مبيناً أن شحرور (يتجاهل الفروق الدلالية الواسعة لاستخدامات الصيغة أو مشتقاتها داخل القرآن ذاته، ويجذب كل الدلالات لتفصح عن دلالته المفترضة)[1].

ويرفض نصر أبو زيد هذه الانتقائية التي تفرض دلالات من خارج السياق لصالح أيديولوجيات معينة فيقول: (والطرف المتحرك الرخو هو النص الديني الذي عليه أن يستجيب لهدف المؤلف، أليس ذلك تلويناً مغرضاً يتم فيه تجاهل السياق تجاهلاً تاماً، ويتم الاختيار بين الدلالة الأصلية والدلالة المجازية بناء على هدف معلن مسبقاً؟! هذه قراءة لا تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة)[2].

(١) النص، السلطة، الحقيقة، ص١١٦.

(٢) المنهج النفعي، ص٥٧.

إن دلالة السياق الشرعي ضابطه لعملية توحيد الفهم ولازمة للوصول إلى المعنى الدقيق والحقيقة الشرعية المقصودة للنص، أما اجتزاء الدلالات بعيداً عن سياق النصوص وعزلها عن السياقين اللفظي والحالي فهو إهدار لقيمتها ومعانيها وشرعيتها، وكل قراءة تهدر السياق الشرعي فهي قراءة مرفوضة.

٤. الانتقائية النفعية في اختيار المصادر والروايات المتعلقة بالمعجزات فينتقي الكتب التي اشتهرت بالوضع والكذب والخرافات ويقبل هذه الروايات وهذه المصادر ويعتمدها دون أدنى ضوابط أو اعتبارات منهجية لأنها تحقق له الهدف النفعي بتحويل المعجزات إلى أساطير وموروثات شعبية لمحاولة إقناع القارئ بعدم وقوع المعجزات كحقيقة موضوعية في الوجود المادي. وفي نفس الوقت يرفض الروايات الصحيحة الثابتة ويردها دون أي مبرر إلا دعاوى مستوردة ومستهلكة كالتوظيف السياسي والأيديولوجي والنفسي.

إن هذه الانتقائية النفعية لم تفقد مشروع شحرور الوحدة الفكرية والترابط المنهجي فحسب بل أحاطته بالغموض والتناقض والاضطراب إلى درجة جعلت منه مشروعا نفعيا لا تجديديا.

❁❁❁

الخاتمة

أحمد الله على ما يسر لي سبل البحث وأعانني على إتمامه، ومن خلاله ظهرت لي بعض النتائج وأهمها:

١. يتلخص موقف شحرور من المعجزات الحسية في رفضها وإنكار وقوعها صراحة كسائر الحداثيين أما معجزة القرآن فقد استخدم المراوغة والتأويل الباطني في رفضها بخلاف غالب الحداثيين العرب الذين صرحوا بالإنكار.

٢. أن القرآن الذي تحدى الله العالمين بإعجازه ليس ما بين دفتي المصحف عند شحرور وإنما بعض الآيات التي يطلق عليها (الآيات المتشابهة) مستبعداً معظم آيات القرآن الكريم من مسمى القرآن.

٣. أن شحرور استبعد المفهوم التقليدي للمعجزات باعتبارها حقائق موضوعية ثبت حدوثها مؤسساً لمفهوم جديد يجعل منها مجرد أساطير وخرافات عجز العقل عن تفسيرها فهي مجرد حالة ذهنية تتطور مع التقدم الزمني والتقدم العلمي الذي يمكنه تفسيرها بعيداً عن الاعجاز.

٤. أن إعجاز القرآن عند شحرور يتمثل فيما يطلق عليه (خاصية التشابه) بمعنى ثبوت اللفظ وحركة المعنى اللانهائية بحسب التغيرات الزمكانية والتفاعل معه بحسب الظروف الاجتماعية والتاريخية المتغيرة فلا ثبات للفهم أو المعنى ولا يستثنى من ذلك حتى فهم الرسول ﷺ ويعتبر هذه الخاصية هي (سر الإعجاز الأكبر في القرآن).

٥. أن موقف شحرور في إنكار المعجزات كان مزدوجاً بحسب المصدر، حيث صرح برفض المعجزات الواردة في السنة النبوية بينما استخدم المنهج التأويلي الباطني في المعجزات الواردة في القرآن الكريم.

٦. أن المفاهيم الجديدة التي حاول شحرور إكسابها للمصطلحات الشرعية تحولت إلى شفرات ورموز بسبب التكرار الممل وغموض التعبير ثم لا يلبث القارئ أن يكتشف

ضحالة المعاني والدلالات، وأن غموض التعبير ناتج عن غموض التفكير وقصور في الفهم والتطبيق.

٧. أن موقف شحرور من المعجزات ليس وليد البحث العلمي وإنما هو اجترار لآراء الفلسفة المادية، وقراءة موجهة مسطرة الأهداف مسبقاً.

٨. أن المهندس شحرور وقع في مغالطات علمية فادحة وكذلك أخطاء منهجية تدل على غياب المعرفة بالمنهجية الإسلامية وكذلك المنهجية الغربية التي ادعى تطبيقها فجاء مشروعه مشوهاً ومضطرباً ومتناقضاً.

٩. أن محاكمة شحرور إلى أصوله وفلسفته وأسسه وتفكيكاته تنتهي بأي باحث إلى عدم الاعتداد بتصريحاته الظاهرية وتفتح الباب أمام البحث عن الدوافع غير المعلنة.

١٠. أن منهجه النقدي الذي استخدمه شحرور في إنكار المعجزات يفتقد العلمية والمصداقية والثبات ولذا لا يمكن الوثوق به للوصول إلى المعنى الصحيح في النصوص البشرية فضلاً عن النصوص الشرعية.

١١. أن شحرور رفض المنهجية الإسلامية وأدواتها بدعوى أنها تراث فانقطع عن تراثه ليمجد تراث غيره وانتقد تراثه ليبرر اتباع حاضر غيره. ولا يعدو طرح المهندس شحرور عن أن يكون نسخة محدثة للطرح الاستشراقي الذي استهدف الإسلام وأصوله ومصادره تحت شعار العلمية والروح النقدية.

وتقترح الباحثة بعض التوصيات منها:

١. تشجيع البحث العلمي في المناهج الفلسفية الغربية لتقديم دراسات نقدية متخصصة في الفكر الغربي من منطلق إسلامي باعتبارها المصدر الرئيسي للمشاريع الحداثية في العالم الإسلامي.

٢. عرض المشاريع الحداثية في العالم الإسلامي أصولها وجذورها وفشل تطبيقاتها على البيئة الإسلامية من خلال البحث العلمي ومناهج التعليم الجامعي لتحصين أبنائنا من هذه الفلسفات التي يتستر أصحابها بالعلمية والتجديد في الدين.

٣. مواجهة هذه المشاريع بنفس الوسائل التي استخدمتها للترويج لأفكارها كالإعلام من خلال برامج ثقافية ولقاءات حوارية ومواقع إلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي فلا مناص من مواجهة الفكر بالفكر واستبدال مشروع بمشروع.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المراجع والمصادر

١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الرسالة التدمرية، تحقيق: د. محمد السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١.

٢. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط٢٧، ١٤١٥هـ.

٤. أبو ديب، كمال، الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فصول، العدد الرابع، المجلد الرابع، سنة ١٩٨٤م.

٥. أبو زيد، حامد نصر، لماذا طغت التلفيقية على كثير من مشروعات تجديد الإسلام، مجلة الهلال، العدد ١٠، بتاريخ ١ اكتوبر ١٩٩١م.

٦. أبو زيد، حامد نصر، النص، السلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٥م.

٧. أبو نصر، حامد نصر، المنهج النفعي، مجلة الهلال، العدد ٣، ١٩٩٢م.

٨. البازعي، سعد، استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م.

٩. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٠. بدوي، عبد الرحمن، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١١. الحلبي، علي إبراهيم، السيرة الحلبية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ.

١٢. الحموي، محمد أمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت.

١٣. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل العزازي، دار ابن الجوزي، ١٤١٧هـ.

١٤. زيدان، رضا، نقد إشكالات هيوم على مفهوم المعجزة، مركز الدلائل، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

١٥. سعدون، فاطمة، المناهج النقدية إشكالية التطبيق والوعي بالأصول، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي، الجزائر، العدد ٧، سبتمبر ٢٠١٦م.

١٦. السقار، صهيب، قراءة معاصرة في القراءة المعاصرة، دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠٢٠م.

١٧. سمرين، يوسف، بؤس التلفيق (نقد الأسس التي قام عليها طرح محمد شحرور)، مركز دلائل، الرياض، ط٢، ١٤٣٩هـ.

١٨. السيف، خالد، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر -دراسة نقدية إسلامية- مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط٣، ١٤٣٦هـ.

١٩. السيوطي، عبد الرحمن جلال، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات دار الكتب المعاصرة، بيروت.

٢٠. شبار، سعيد، الخلفية الفكرية الموجهة للقراءات الحداثية للقرآن ونقد أطروحة التسوية بين الكتب المقدسة، بحث منشور بمجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد ٥٩، ٢٠١٠م.

٢١. شحرور، محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق.

٢٢. شحرور، محمد، دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم، دار الساقي، ط١، ٢٠١٦م.

٢٣. شحرور، محمد، السنة الرسولية والسنة النبوية، رؤية جديدة، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٢٤. شحرور، محمد، إشكاليات القراءة المعاصرة للنص القرآني في المنهج وأدواته، حوار مع محمد شحرور، مجلة الحياة العدد ١٣، ١٤٢٤هـ.

٢٥. الشعراني، عبد الوهاب، كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٦. الطبال، فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٧. طرابيشي، جورج، سبات العقل في الإسلام، لجورج طرابيشي، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٨. عبد الرزاق، سماح خميس، إشكاليات المناهج النقدية الغربية وأثرها في النقد العربي، بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد العاشر، أبريل ٢٠١٧م.

٢٩. العمري، محمد خير حسن محمد، التفكير الديني لدى الحداثيين العرب، دراسة نقدية، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، عمادة البحث العلمي، العدد ٣، ٢٠١٤م.

٣٠. عمارة، محمد، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣١. الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٣٢. قوشتي، أحمد، موقف الاتجاه الحداثي من الإمام الشافعي، مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، العدد السابع، السنة الرابعة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٣٣. المسدي، عبد السلام، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد ٨٣، سنة ٢٠٠٣م.

٣٤. المسيري، عبد الوهاب والتريكي، فتحي، الحداثة وما بعد الحداثة دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.

٣٥. النحوي، عدنان، الحداثة في منظور إيماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٠هـ.

٣٦. هيوم، ديفيد، مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة: د. موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

المواقع الالكترونية:

37. www.qudamaa.com.

38. www.tipyan.com.

39. mominoun.com/tags/1675.

40. al_maktaba.org/book/31886/753.

41. youtube.com/watch?v=fm3vjkn0deg.

42. shahorour.org/p=17711.

43. https://m.facebook.com/Dr.Mohammad.sharour/posts/2198658866917568.